الفصل الرابع

خطوات نحو أسلمة المناهج التعليمية

- العلمانية والتعليم العلماني.
- كيف نتغلب على علمانية التعليم.
- التصور الإيماني للكون.
- مفهوم الحضارة.
- الحضارات القديمة في الميزان.
- مفاهيم ينبغي أن تصحح.

خطوات نحو أسلمة العلوم الاجتماعية والإنسانية

حرص الأعداء على فصل الدين عن الحياة، ففصلوا المفاهيم الإسلامية لله والوجود والكون والمجتمع عن العلوم الاجتماعية والإنسانية.

والحقيقة التي لا سبيل إلى تجاوزها أن دراسة تلك العلوم بالصورة الراهنة غير ذات جدوى بالنسبة للطالب المسلم، لذا لابد من أن تدرس العلوم الاجتماعية مرتبطة بالعلوم الإسلامية، وهذا يتطلب منا صياغة الجغرافيا والتاريخ، وعلم النفس وعلم الاجتماع والسياسة وعلم الاقتصاد صياغة إسلامية، وحتى يمكن التغلب على علمانية التعليم، تلك المشكلة التي وقعت فيها مؤسساتنا التعليمية والعلمية ولم تتخلص منها بعد.

لابد من إضفاء الصبغة الإسلامية على العلوم الاجتماعية سواء كانت تتصل بالفرد أو الجماعة.. بالإنسان أو الطبيعة.. بالدين أو العلم، وأن تعيد نفسها تحت لواء التوحيد الخالص: الله الخالق مسبب الأسباب، وهدف وغاية كل شئ في الوجود.

هذا ما قرره العلماء المسلمون والحاجة الملحة تحتمه.

العلمانية والتعليم العلماني

مفهوم العلمانية

العلمانية (بفتح العين لا بكسرها) مفهوم سياسي لا حضاري، وهو من المصطلحات التي أفرزتها الحياة الأوربية، ويعني عدم المبالاة بالدين أو الاعتبارات الدينية، أي يستهدف فصل الدين عن الحياة وإبعاده من مجال التأثير.

وقد شاع استعمال هذا المصطلح وصادف قبولا لدى المثقفين في مصر بعد أن تغلغل الاستعمار الإنجليزي فيها منذ عام ١٨٨٢م، وحاول بكل قوته ضرب المفاهيم الإسلامية التي تدعو إلى جهاد المستعمر، والتي توحد الأمة تحت راية الإسلام، فكانت الدعوة إلى إبعاد الدين عن السلطة، والدين هنا هو الإسلام، وذلك بدعوى أن الدين هو التخلف، وأن الإيمان ضد الارتقاء والمدنية، وأن سبيل الوحدة إلى الحضارة هي (العلمانية)، أي الانتماء إلى العالم ونظامه الوضعي، وقد انضم إلى هذه الدعوة الإستعمارية جماعات مخدوعة من المسلمين ومن غير المسلمين راقهم الاتجاه إلى محاربة الإسلام.

ويحاول العلمانيون العرب إبراز العلمانية في صورة المذهب العقلي الذي يقوم على الانتفاع بالعقل الإنساني في بعث التطور والتجديد، واستغلا معطيات الحياة المادية، من أجل تطوير المجتمع، وتحويله إلى مجتمع صناعي متقدم كما هو حادث في المجتمعات الغربية المتقدمة في مجالات العلم والثقافة، والحكم والإدارة، وما إلى ذلك دون إن يبرزوا تعارض العلمانية مع الدين.(١)

والعلمانية كمصطلح لاعلاقة لها بالعلم Science أو المذهب العلمي Scientism وإنما هي الفصل بين الدين والحياة أو اللادينية.(٢)

وفي دائرة المعارف البريطانية جاء مفهوم العلمانية msiraluceS بأنها حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الإهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها، وظلت هذه الحركة تتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية.(٣)

ويقول فضيلة شيخ الأزهر جاد الحق على جاد الحق: العلمانية لا تنتسب إلى العلم، لأن الإسلام أولا مع العلم ويدعو إليه، والمسلمون ـ ليس ذلك تشبثا بالماضي ـ هم الذين نشروا العلم والعلوم، والعلم بمعناه العام لا المقصور على علوم اللغة والشريعة، وعلمهم هو الذي أقيمت عليه هذه الحضارة المادية والمعاصرة.

العلمانية هي مفهوم يدعو إلى التخلص من الدين وعزله عن حركة المجتمع، وهذا لا شك مذهب وفكر خاطئ، وهو فكر مادي لا يفترق عن الحضارة الغربية في شئ، وما في الحضارة الغربية من فصل بين الدين وبين نظام الحياة، هذا أمر كانت له ظروفه الماضية حين تسلط رجال الدين في أوربا على الحكم، وكانت نتيجة تسلطهم هذه المآسي الاجتماعية والسياسية التي نعرفها جميعا، أما حركة المسلمين منذ تاريخ الإسلام فلم يحدث فيها شئ من هذه المآسي.(٤)

(١) أنظر د. السيدأحمد فرج جذور العلمانية ص ١٠٦، ١٦٧.
(٢) د. سفر الحوالي العلمانية.
(٣) د. صلاح الصاوي المواجهة بن الإسلام والعلمانية ـ الأفاق الدولية للإعلام.
(٤) المرجع السابق نقلا عن مجلة آخر ساعة ٤ يوليو عام ١٩٩٠م.

أهداف العلمانية

تجمع المصادر المختلفة على أن العلمانية تستهدف عزل الدين عزلا تاما عن المجتمع وإتاحة الفرصة لقيام تربية لا دينية، وقيام نظام سياسي لا يستهدي بالشريعة، وتأسيس الإقتصاد على أساس الربا.

كما تستهدف إبعاد قطاع أصيل من الفكر الإنساني، هو جانب الروح والوحي وعالم الغيب، وكل ما يتصل بالدين من أخلاق وعقائد وإيمان بالله، وعزله عزلا تاما عن الفكر والحياة.(١)

التعليم العلماني

سعت الصليبية واليهودية العالمية منذ أن فرض الإستعمار سلطاته على المجتمعات الإسلامية، إلى إقصاء المنهج الإسلامي في الشريعة والإقتصاد والتعليم، وإحلال منهج علماني بديلا منه، ولبلوغ هذا الهدف طُرِحَت عشرات المناهج الغربية في مفاهيم الحرية والديمقراطية وإعلاء شأن التاريخ القديم الفرعوني والفينيقي والبابلي والاشوري، وحاولت أن تشكل من هذا كله منهجا فكريا يعزل العرب والمسلمين عن جوهر فكرهم الإسلامي الأصيل.

وفي ضوء هذا المنهج تشكلت مناهج التعليم الجديدة خالية تماما من كل ما يفيد بأن الإسلام دين قائم على منهج حياة كامل، أو أنه رابطة أخوة مع المسلمين.

ركز النفوذ الإستعماري قواه الضخمة مستهدفا تحقيق مفهوم العلمانية بتشكيل نماذج من المتعلمين تتجاوز الدين أساسا، لا تقف عند اللغة العربية أو تاريخ الإسلام أو قيم القرآن ومنهجه الشامل. كما ركز على إنشاء مدارس الإرساليات والمدارس الأجنبية وإنشاء منهج تعليمي تغريبي للسيطرة على العقول وتربية النشئ، واستنقاص التراث والقيم العربية الإسلامية، وإعلاء مفهوم الغرب.

أخطار الفكر العلماني

علمانية الدولة في البلاد الإسلامية، معناه تنصل الدولة من الشريعة الإسلامية التي هي أهم عامل من عوامل توجيه حياة الشعب اليومية، والفكر العلماني لا يستهدف من

(١) أنور الجندي سقوط العلمانية ـ دار الكتاب اللبناني بيروت.

العقائد إلا العقيدة الإسلامية والشريعة الإسلامية. أصحابه وأفراده يحملون أسماء إسلامية، إلا أنهم تربوا في مدارس فكرية ومذهبية بعينها، تناصب الإسلام العداء مستترين وراء أسمائهم.. إنهم أحفاد أبي بن سلول، يهاجمون الإسلام والشريعة مشككين في أصولها، داعين إلى تجاوزها.

يدعون إلى الفجور الخفي، والمجون المستتر بالرغم من ظهور دعواهم أحيانا، ترتدي مسوح الفضيلة والمبادئ.. نجدهم يلتحفون بعباءة الإسلام ويتكلمون باسمه وهم يضمرون له الخراب ويبثون أفكارهم المسمومة بين العامة.

يقرر العلمانيون أنهم يرفضون اعتبار الدين أساسا لحياة الجماعات البشرية ويدعون إلى الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس، ونبذ كل ما تؤيده التجربة والتحرر من العقائد الدينية.

والإسلام لا يقر الاعتماد على الواقع الذي تدركه الحواس وحده، لأنه بذلك يكون قد تجاهل عالما واسعا كبيرا من الحقائق لا تصل إليه الحواس، ولا يدركه العقل، ولا تصل إليه التجربة، ذلك هو عالم الغيب.[1]

العلمانية لا تلائم الشعوب الإسلامية لأن الأمة الإسلامية مدينة للإسلام في وجودها وتكوينها.

كيف نتغلب على علمانية التعليم

مقترحات لتعميق المفاهيم الإيمانية: (في الدراسات الجغرافيه والإقتصادية).

في النشاط الاقتصادي

يقدم المعلم لطلابه الأمثلة من تراثنا الحضاري العظيم، في مزاولة مختلف ألوان الأنشطة الإقتصادية والبشرية، ويضرب المثل بالأنبياء والمرسلين:

(١) كان نوح عليه السلام رائدا في صناعة بناء السفن، وكان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من الرواد في صناعة التشييد والبناء، وكان داود وسليمان عليهما السلام قدوة في صناعة الحديد والدروع.

---

(١) المرجع السابق بتصرف.

(٢) تفوق يوسف عليه السلام في أمور التدبير الإقتصادي، والسياسة المالية وحماية البلاد من الوقوع في الكوارث الإقتصادية.

(٣) كان ذو القرنين وأهل سبأ من المتميزين في بناء السدود والخزانات.

أما خاتم الأنبياء محمد صلوات الله عليه، فقد شتغل بحرفة الرعي والتجارة.

يذكر المعلم لطلابه أن الله تعالى سخر للإنسان العديد من الثروات والموارد المختلفة، ثم حثه على ممارسة شتى ألوان النشاط الإقتصادي من زراعة، ورعي وصيد، وتجارة، واستثمار للأموال فيما يعود بالنفع على سائر الناس.

قال تعالى:﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ﴾[١]

النشاط الإقتصادي قوام حياة الإنسان، ومصدر لكسب الرزق، لذا فهو ضرورة.

اهتمام الإسلام بالزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، لتحقق الجماعة الإسلامية كفايتها فيما تحتاج إليه من مواد غذائية وخامات صناعية، وفي هذا مصدر من مصادر قوتها، وتجنبا لتحكم أعدائها في رقابها.

في عوامل الإنتاج الإقتصادي ومقوماته:

(١) **الأرض:** يحرص المعلم على:

التأكيد على أن الأرض هبة من عند الله تعالى، تضم سائر الموارد والثروات الإقتصادية التي خلقها الله عز وجل، ووضعها تحت تصرف الإنسان من مياه سطحية، ومياه جوفيه، وتربة تصلح للزراعة والإنبات، وكذلك المواد الأولية حيوانية ونباتية ومعدنية.

قال تعالى ﴿وَالأَرْضَ وَضَعَهَا لِلأَنَامِ﴾[٢]، ﴿وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيءٍ مَّوْزُونٍ﴾[٣]، ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[٤].

---

(١) البقرة ٢٦٧.
(٢) الرحمن ١٠.
(٣) الحجر ١٩.
(٤) لقمان ٢٠.

في الموارد المائية ومصادر المياه

يؤكد المعلم من خلال دروسه على:

أرسل الله تعالى المطر إلى الأرض التي لا نبات فيها، فيخرج به ما تعيش عليه الأنعام ويحتاج إليه الناس ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ﴾[1]، ﴿واللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾[2]، ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۞ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾[3].

أي أن السحاب يحمل الماء الذي مصدره البحر، ثم يعيده مطرا إلى الأرض، وماء المطر هو مصدر المياه الجوفيه التي تعتمد عليه الزراعة في الصحراء والمناطق التي لا توجد فيها أمطار ولا أنهار.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾[4].

في الإنتاج الحيواني والرعي والثروة الغابية

يستشهد المعلم بالآيات القرآنية التالية :

قال تعالى ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ۞ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾[5]، ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾[6].

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا، لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۞ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ، إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً، وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[7].

---

(١) السجدة ٢٧.
(٢) فاطر ٩.
(٣) الطارق ١١-١٢.
(٤) الزمر ٢١.
(٥) الأعلى ٤-٥.
(٦) النازعات ٣٠-٣١.
(٧) النحل ٥-٨.

في التربة:

تتفاوت خصوبة التربة بحسب ما أودع الله تعالى فيها من عناصر كيماوية. قال تعالى ﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1].

فبرغم أنها تروى بماء واحد إلا أن بعضها طيبة صالحة وبعضها سبخة، وبعضها رخوة، وبعضها صلبة، وبعضها يصلح للزراعة دون الشجر والبعض غير ذلك، وهذه كثيرة الإنتاج، وهذه قليلة، فحيث تكون التربة خصبة تكثر النباتات، وحيث تكون فقيرة، فلا يحتاج النبات منها إلا قليلا، أي أن الزروع متفاوتة في أنواعها وطعومها وألوانها ﴿وقدر فيها أقواتها﴾.

العمـــل:

العمل ضروري في العملية الإنتاجية، فالأرض وما فيها من ثروات وموارد طبيعية خلقها الله تعالى للإنسان وجعلها تحت تصرفه، تصبح عديمة القيمة لا أهمية لها، إلا من خلال ما يبذله الإنسان فيها من عمل من أجل استغلالها.

الإسلام شدد على وجوب العمل لقوله تعالى ﴿وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2] ولقوله ﷺ (ما أكل أحد طعاما خير من أن يأكل من عمل يده وأن نبي الله داوود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) و(لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحد فيعطيه أو يمنعه).

العمل شرف قام به الأنبياء، وأحفظ لكرامة الإنسان، وهو فرض واجب على القادرين عليه.

الزراعة واستغلال الأرض:

أرشدنا الإسلام إلى أهمية استغلال المياه في أغراض الزراعة ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ﴾[3].

---

(١) الرعد ٤.
(٢) التوبة ١٠٥.
(٣) عبس ٢٥-٣٢.

كما أرشدنا إلى أهمية انتهاج الأسلوب العلمي السليم للاستفادة من المياه عن طريق إقامة ما تحتاج إليه الزراعة من مشروعات الري كالسدود والقنوات وغيرها لاستصلاح الأرض البور والمناطق الصحراوية، كما وجهنا إلى تجنب الأخطار المحتملة من الإسراف في سحب المياه مما قد يترتب عليه سرعة نضوبه.

حرص الإسلام على تشجيع عملية استغلال الأرض البور، وما يتم استصلاحه فيها يكون ملكا لمن قام بهذا العمل، قال ﷺ (من أحيا أرضا ميتة فهي له).

جغرافية السطح والتضاريس

التضاريس الموجبة (الجبال)

اختلاف مظاهر السطح وتنوع التضاريس نعمة من نعم الله تعالى، قال تعالى ﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۞ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۞ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾[1]، ومنافع الجبال لا يحصيها إلا خالقها وناصبها[2].

يتراكم الثلج على قممها وتتبع منها الأنهار وتسيل، ولولا الجبال لسقط الثلج على السهول وتحول إلى سيول جارفة لا تبقي ولا تذر.

من منافعها كهوفها ومغاراتها وحصونها وقلاعها[3]، وأحجارها ومعادنها على اختلاف أصنافها، ومن منافعها أيضا أنها تحجز الرياح وترد السيول.

قال تعالى ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4] جعلها الله تعالى بمثابة أوتاد تثبت الأرض، ورواسي بمنزلة مراسي السفن ﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾[5]، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾[6].

الجبال تسبح بحمد الله باريها وفاطرها وخالقها، وتخشع له وتسجد وتتشقق وتهبط من خشيته عز وجل﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ

---

(١) الغاشية ١٩.
(٢) في حديث إسلام ضمام بن ثعلبة قوله للنبي صلى الله عليه وسلم: بالذي نصب الجبال وأودع فيها المنافع آلله أمرك؟ قال: نعم.
(٣) يتحصن فيها المجاهدين من أعدائهم.
(٤) النبأ ٦-٧.
(٥) النحل ١٥.
(٦) النازعات ٣٢.

مِنْهُ الْمَاءُ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ، وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1].

منها جبل أحد الذي قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (أحد جبل يحبنا ونحبه)، ومنها جبل الرحمة في عرفات، ومنها جبل حراء الذي فاض منه النور على العالمين.

لو أنزل عليها كلام الله لخشعت وتصدعت من خشية ربها، قال تعالى ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ﴾[2].

تختلف ألوان الجبال باختلاف صخورها وما تحويها من معادن،منها الأحمر، ومنها الأصفر ومنها غير ذلك.

قال تعالى ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾[3].

التضاريس السالبة: (السهول)

(يفسر المعلم الآيات القرآنية بالإستعانة بكتب التفسير)

قال تعالى ﴿وَاللهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا ۞ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجًا﴾[4].

﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[5].

في التجارة والتبادل التجاري

شدد الإسلام على أن تكون عمليتا الشراء والبيع نظيفة لاغبن فيها لأحد الأطراف، وحذر من الغش في الكيل والميزان في مواضع كثيرة من القرآن﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[6]، ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۞ أَلاَّ تَطْغَوْاْ فِي الْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾[7]، ﴿وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾[8].

---

(١) البقرة ٧٤.
(٢) الحشر ٢١.
(٣) فاطر ٢٧.
(٤) نوح ١٩-٢٠.
(٥) الملك ١٥.
(٦) المطففين ١-٣.
(٧) الرحمن ٧-٩.
(٨) الأنعام ١٥٢.

وجاء في الحديث الشريف (خمس بخمس، ما نقض العهد قوم إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر. وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين).

أكد الإسلام على: ضرورة توافر الأمانة في التاجر، والوفاء بالإلتزامات المترتبة على عملية التبادل التجاري، وعلى سداد الديون المستحقة لأربابها عندما يحل أجلها، واحترام التعهدات بشأن التصدير والاستيراد والمحافظة على المواعيد المتفق عليها كما أكد على السماحة في البيع استنادا إلى حديث الرسول ﷺ (رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى). وعلى توفير الأمن والضرب على أيدي المفسدين.

في الجغرافية المناخية: (الضغط الجوي ـ الرياح ـ السحب ـ الأمطار)

في الضغط الجوي: أوضح القرآن هذه الظاهرة جيدا في الآية التالية ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ، وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾[1].

وفي الرياح والمطر ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[2].

وقد فسرت هذه الآية في ضوء العلم الحديث على أن الرياح لواقح للنبات بعد ما ثبت أن الهواء من أهم وسائل تلقيح النباتات، بل إن هناك قسما كبيرا من النباتات لا يتم تلقيحه إلا بالهواء.

كما فسرت هذه الآية بأن الرياح إنما هي لواقح للسحب التي يتم بها نزول الماء من السماء، حيث تولد الرياح الكهرباء بنوعيها في السحب، ويتم تلقيحها بعضها ببعض، فينزل بذلك المطر الذي يسقينا وما نحن له بخازنين[3].

وقال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ﴾[4].

وفي سورة الأعراف ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ، حَتَّى إِذَا

(١) الأنعام ١٢٥.
(٢) الحجر ٢٢.
(٣) أنظر عبدالرزاق نوفل ـ الله والعلم الحديث ـ دار الشروق
(٤) الروم ٤٦.

أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالاً سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ، كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ، وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ، يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ﴾[2].

قال تعالى: ﴿وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾[3] كيف ينشئه سبحانه وتعالى بالرياح فتثيره كسيفا ثم يؤلف بينه ويضم بعضه إلى بعض ثم تلقحه الريح، ثم يسوقه على متونها إلى الأرض المحتاجه إليه، فإذا علاها واستوى عليها هطلت الأمطار بعد أن يرسل سبحانه الريح وهو في الجو فتذروه وتفرقه لئلا يؤذي ويهدم ما ينزل عليه بجملته.

وعنه صلى الله عليه وسلم لما رأى السحاب قال (هذه روايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يذكرونه)[4]

في الجغرافيا الفلكية: (نشأة الكون)

تعرض الآيات القرآنية التتابع الزمني في تكوين العالم على النحو التالي:

قال تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍّ﴾[5]، ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[6].

يقول الكاتب الفرنسي موريس بوكاي "الدخان مؤلف من أصل غازي بـه ذرات دقيقة لها إمكانية الانتماء إلى حالات المادة الجامدة والسائلة " أي أن القرآن الكريم يصرح أن

---

(١) الأعراف ٥٧.
(٢) النور ٤٣.
(٣) البقرة ١٦٤.
(٤) رواه الترمذي ـ أنظر أنس عبدالحميد القوز ـ تأملات ابن القيم في الأنفس والآفاق ص ١٩٣ ـ مكتبة دار السلام
(٥) الأنبياء ٣٠.
(٦) فصلت ١١-١٢.

السماء كانت في بدء الخلق دخانا وأن السحب الكونية والسدم أو المجرات خلقت من هذا الغاز وهذا دليل على إعجاز القرآن والسنة المطهرة[1]

الشمس والقمر ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ۞ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2].

أي أن القرآن يصرح بأن للشمس حركة حقيقية في الوقت الذي كان يسود من قبل حتى أوائل القرن العشرين أن الشمس ثابته، حركتها ظاهرية فقط.

النجوم ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ۞ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[3].

سبق القرآن العلم في الإشارة إلى أهمية النجوم.

السماء: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ، فَلا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4].

السماء هي كل ما يحيط بالأرض من جميع أقطارها ابتداء من الغلاف الجوي الذي يبلغ ارتفاعه بنحو ثلاثمائة كيلو متر فوق سطح الأرض، ثم يأتي الفراغ الكوني الذي تسبح فيه ملايين الأجرام السماوية.

﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا، وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ﴾[5] أي أن السماء كالسقف المرفوع الذي يحفظ الأرض وما عليها من الشهب والنيازك والأشعة الكونية التي لا تستقيم معها الحياة.

تكوين الأرض:

﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۞ وَالْجِبَالَ

(١) أنظر موريس بوكاي - التوراة والانجيل والقرآن والعلم ص ١٢٩ ١٣١، محمد كامل عبدالصمد ــ الإعجاز العلمي في الإسلام ص ٤٧.
(٢) يس ٣٨-٤٠.
(٣) الواقعة ٧٥-٧٦.
(٤) البقرة ٢٢.
(٥) الأنبياء ٣٢.

أَرْسَاهَا﴾[1]. يقرر القرآن الكريم أن الأرض انفصلت عن الشمس وهي على صورة غازية ملتهبة ثم أخذت تبرد شيئا فشيئا، نتج عن ذلك تجمد السطح الخارجي الذي أخذ يزداد تماسكا.. وفي هذه الفترة كانت الغازات والأبخرة تتصاعد من الأرض لتتساقط عليها على هيئة المطر فكان تكوين الماء.. بعد خلق الأرض ونزول الماء مع المطر وتفجره من الينابيع وجدت التربة الصالحة التي ينمو فيها النبات.

شكل الأرض: (دلائل كرويتها)

(١) ﴿وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾[2] سجلت آلات التصوير في رحلات الأقمار الصناعية أن شكل الأرض الحقيقي مستدير، وهذا ما أثبته العلم بعد نزول القرآن الكريم بمئات السنين.

(٢) ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾[3] لو كانت الأرض منبسطة لكان على سطحها مشرق واحد ومغرب واحد.

(٣) ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[4].

(٤) ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[5].

توازن الأرض:

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا ۞ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[6].

وجود الجبال يساعد على التوازن بين المرتفعات والمنخفضات، بحيث لا تميد ولا تضطرب، فهي بمثابة أوتاد تحفظ توازن الخيمة واستقرارها.

تلك حقائق علمية أثبتها القرآن الكريم منذ ألف وأربعمائة عام أو يزيد لم تتضح علميا إلا مؤخرا.

---

(١) النازعات ٣٠-٣٢.
(٢) النازعات ٣٠.
(٣) الرحمن ١٧.
(٤) الزمر ٥.
(٥) يس ٤٠.
(٦) النبأ ٦-٧.

في الجغرافيا الإقتصادية

أهمية التكامل الإقتصادي الإسلامي

يؤكد المعلم على أهمية التكامل الإقتصادي الإسلامي، ويبين أن الأصل في الإسلام التكامل بين جميع الأقاليم في الوطن الإسلامي، فلا تشتكي دولة من فقر، وأخرى لديها فائض بل يحدث الانتقال الفوري من صاحب الفائض إلى من لديه عجز.

قال صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" رواه البخاري.

كما أن الأصل في الإسلام هو وحدة الأمة الإسلامية، حيث أنها وطن واحد، وإن قسمت إلى عدة أقاليم، فقد كان يرأس الدولة الإسلامية أمير المؤمنين ويولي على كل إقليم حاكم من قبله مسئول عن الشعب والأرض والمال في إقليمه، يوفر الأمن والأمان، ويطبق شريعة الله كاملة فيقوم بالصرف وسد احتياجات الناس من سائر الاحتياجات، وإذا ما فاض شئ من الأموال يقوم بإرسالها إلى أمير المؤمنين، فتوضع في بيت المال حيث يتم الصرف منها على الأقاليم الأخرى، والتي في حاجة إليها.

وكذلك إذا ما نقص مال إقليم أو حدثت مجاعة لنقص محاصيل الاقليم، كان على الخليفة أن يمد هذا الإقليم بما يحتاجه من أموال أو محاصيل من الأقاليم الأخرى، تطبيقا لما نص عليه الكتاب والسنة ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾[1]، ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾[2].

وكان بيت المال في الدولة الإسلامية بمثابة البنك المركزي للدولة الإسلامية، ترد إليه الأموال من سائر الولايات الإسلامية، حيث تحفظ فيه وتصرف منه في شئون الدولة الإسلامية، حيث نظام المشروعات والتحصينات.

وكان التكامل الإقتصادي يشمل جميع عناصر الإنتاج، فلم يكن هناك أية قيود على تنقل المسلمين من بلد إلى آخر من أجل العمل أو التجارة أو الاستثمار، ولم تكن هناك قيود جمركية، بل كانت الأمة الإسلامية رغم اتساعها أمة واحدة.

---

(١) الأنبياء ٩٢.
(٢) المؤمنون ٥٢.

ولم تكن أحوال المسلمين على ما هي عليه الآن من تشتت وتفرق وتمزق وخلافات وتناقضات في الأموال والعقائد المختلفة والمذاهب.

في النقل و المواصلات:

هيأ الله تعالى للإنسان الأرض للسير عليها، فهناك الطرق والممرات الطبيعية للمواصلات لتسهيل الانتقال والتبادل التجاري بين بلد وبلد آخر وبين منطقة وأخرى.

قال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[1]، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلاً﴾[2] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[3].

التصور الإيماني للكون

الكون الذي نعيش فيه يشمل الوجود كله الذي خلقه الله تعالى.. السموات والارض وما فيهن خلقه الله سبحانه وأودعه قوانينه التي يعمل ويتحرك بها، وتتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها ﴿لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ، وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[4].

والإنسان جزء من هذا الكون الواسع الذي خلقه الله وسخره له، وأوجده هو لعمارته وجعله خليفة الله في الارض، لم يخلق عبثا، ولم يترك سدى، وإنما خلق لغاية وحكمة، ولم يخلق ليتمتع ويأكل كما تأكل الأنعام، وإنما ليعبد الله ويحمل أمانة التكاليف، ويحقق منهج الله تعالى في الأرض، ويدعو إلى صراطه المستقيم.

خلق الله الإنسان لعمارة الأرض بالجد والعمل والسعي وطلب الرزق ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[5].

سخر له الأرض للسير فيها وللزرع والجني والحصاد، وللحياة بما تحويه من هواء

(١) الزخرف ١٠.
(٢) الأنبياء ٣١.
(٣) الأنعام ٩٧.
(٤) يس ٤٠.
(٥) هود ٦١.

وماء وتربة تصلح للزراعة والإنبات ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[1].

جعل الله الأرض ذلولا للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم إليها في أثناء حركتها الكبرى، كما جعل لها ضغطا جويا يسمح بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أقل من هذا لتعذر أو تعسر على الإنسان أن يسير ويتنقل، ولو كان أخف لاضطربت خطى الإنسان أو لانفجرت تجاويفه لزيادة الضغط.

جعل الله الأرض ذلولا ببسط سطحها، وتكوين هذه التربة اللينه فوق السطح، ولوكانت صخورا صلدة كما يفترض العلم بعد برودتها وتجمدها لتعذر السير فيها، ولتعذر الإنبات، ولكن العوامل الجوية من هواء وأمطار وغيرها هي التي فتتت هذه الصخور، وأنشأ الله بها هذه التربة الصالحة للحياة.

جعل الله الأرض صالحة للحياة بآلاف من الموافقات الضرورية لقيام الحياة، منها حجم الأرض وحجم الشمس والقمر، وبعد الأرض عن الشمس والقمر، ودرجة حرارة الشمس، وسمك قشرة الأرض ودرجة سرعتها، وميل محورها. ونسبة توزيع الماء واليابسة فيها، وكثافة الهواء المحيط بها.. إلخ.

جعل الله الأرض صالحة للحياة بالرزق الذي أودعه تعالى فيها من ثروات زراعية وغابية ونفطية ومعدنية وبحرية ونهرية.. إلخ. وحين يأذن الله للناس في الاستفاده منها يتفضل بتسخيرها لهم وتيسير تناولها، ويمنح البشر القدرة على تناولها والانتفاع بها.[2]

نشأة الكون (في ظل المعطيات القرآنية)

المادة الكونية الأولى:

يلفت القرآن الكريم نظر الإنسان إلى الكون، وكيف بدأ الله خلقه فيقول سبحانه وتعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ اللّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللّهِ يَسِيرٌ﴾[3]، ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ، ثُمَّ اللّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ، إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

---

(١) الملك: ١٥

(٢) أنظر سيد قطب في ظلال القرآن ص ٣٦٣٧ ـ ٣٦٤٠ المجلد السادس ـ دار الشروق.

(٣) العنكبوت ١٩.

(٤) العنكبوت ٢٠.

أوجد الله عز وجل هذا الوجود، وأنشأ كل المخلوقات.

يقول الله عز وجل ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا، ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۞ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۞ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا، قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۞ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا، وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا، ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1].

يذكر القرآن الكريم لنا أن الله سبحانه خلق الكون، السماوات والأرض، في دورات ست (أحقاب ومراحل زمنية) من سحابه سديميه صارت مجرات، وكل مجره تشتمل على آلاف الملايين من النجوم والشموس، وحول الشموس كواكب سيارة، وحول الكواكب السيارة توابع وأقمار ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[2].

أي أن الكون مر بطور سديمي قبل أن تشكل عوالمه ومجراته ومجموعاته الشمسية ونجومه وكواكبه.

ويستنتج من الآيات والمعطيات القرآنية أن الله سبحانه وتعالى خلق الكون في ستة أيام ووضع تصميمه، وأن الكون ليس أزليا. بدأ بإرادة الله وقدرته.. يقول العالم الأمريكي إدوارد لوثركيل " لقد أثبتت البحوث العلمية دون قصد أن لهذا الكون بداية، فأثبتت تلقائيا وجود الإله لأن كل شئ ذي بداية لا يمكن أن يبتدئ بذاته) ولابد أن يحتاج إلى المحرك الأول والخالق.. الله.

للكون الذي نعيش فيه بداية هي الدخان، وللكون خالقا مبدئا هو الله تعالى، ومثل الذي يؤمن بحدوث الكون مع إنكاره لخالق الكون.. كمثل الذي يزعم أن أهرامات مصر الفرعونية قد بنت نفسها بنفسها بدون عمال ولا علماء ولا مهندسين[3]

وللكون الذي نعيش فيه نهاية ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[4] ينفرط فيه.وتختل روابطه

(١) فصلت ٩-١٢.
(٢) الأنبياء ٣٣.
(٣) أنظر الدكتور عبدالعليم عبدالرحمن خضر ـ الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن ـ الدار السعودية للنشر.
(٤) الرحمن ٢٦.

وضواغطه وتتناثر أجزاؤه، وكما بدأ دخان تكون نهايته دخان ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾[1] وكما بداه سحابه سديمية من دخان.. يعيده الخالق الأعظم سحابة من دخان مرة أخرى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ، وَعْدًا عَلَيْنَا﴾[2].

نهاية الكون

تشير المعطيات القرآنية إلى وقوع دمار كامل تتغير فيه أوضاع الأجرام الكونية، وتتغير صفاتها ونسب المواد التي تتكون منها، تستهلك الشمس جميع ما بها من هيدروجين، وتنصهر بأشعتها صخور الأرض، وتخرج الشمس من مدارها بعد أن تفقد معظم طاقتها ويتقلص حجمها، وتتغلب جاذبية الشمس على جاذبية القمر وتشده إليها وتتحول الأرض إلى دخان من شدة حرارتها البالغة. وتشتعل السماء بنار رهيبة تصحب إنشقاق السماء حتى تستحيل في لونها الأحمر إلى ما يشبه الوردة القانية حيث تذوب المواد الكونية وتنصهر حتى تصبح كالدهن في ذوبانها. يقول تعالى ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾[3].

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[4] ستصير السماء كالمعادن المذابة، وستتحول النجوم من الحالة الغازية إلى الحالة السائلة بعد أن تفقد بعض حرارتها.

الجبال التي خلقها الله وجعلها ثابتة كالرواسي شامخة في الجو منغرسة جذورها في صخور السيما التحت قشرية، ستتحول إلى ما يشبه الصوف المنفوش ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۞ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾[5].

هذه الجبال ينسفها الله عز وجل ويذريها في الفضاء، بعد أن تتحرك من أماكنها، ويعطل عملها، وتميد الأرض وتضطرب الأرض ويهلك كل شئ على سطحها بعد أن يزول التوازن الأرضي ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾[6] ويقول سبحانه

(١) الدخان ١٠.
(٢) الأنبياء: ١٠٤
(٣) المعارج ٨-٩.
(٤) الرحمن ٣٧.
(٥) القارعة ٤-٥.
(٦) طه ١٠٥.

﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۞ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۞ وَإِذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ﴾[1].

عوالم وعوالم.. مجرات ومجرات تطوى طيا كما تطوى رقعة الورق، وتنشق السماء عن جموع من الغمام، والسحب تهبط منها الملائكة، وتتناثر الكواكب وتطمس النجوم ويزال هذا الغطاء المرفوع فوق رؤوسنا ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾[2] أي تكشط الكواكب التي هي أشبه بالنتوءات الصغيرة البارزة المنغرسة في السماء.

تتفجر البحار وتتحول مياهها إلى الاكسجين والهيدروجين، تتفجر ذراتها فتندفع الحرارة الهائلة وتتحول مياه البحار والمحيطات والانهار إلى نار وجحيم تجف كلها في وقت قصير ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[3] أي غاض ماؤها وملئ بالنار.. بدل الماء.

تعريف الحضارة

اختلط مفهوم الحضارة والتبس بكثير من الدعاوى والأباطيل، حتى أطلق على كل ما ناقض الحضارة حضارة، فقيل مثلا للعري وفقدان القيم حضارة؛ وقيل لإختراع المهلكات والمفسدات حضارة.[4] ولكن البون شاسع والفرق كبير في مفاهيم الحضارة من وجهة النظر المادية، ومن وجهة النظر الإسلامية. لأن الاشراك بالله تعالى، والصاق صفات البشرية، أو تقديس الحيوانات أو الاعتقاد بآلهة البحر والمطر ليست حضارة.

هناك سوء فهم واختلاط في مفاهيم الحضارة. إن ما يطلق عليه بالحضارات البائدة الفرعونية.. الأشورية البابلية.. الإغريقية.. الرومانية.. إلخ لم تكن حضارات حسب المفهوم الإسلامي وكما يريدها الله تعالى.. إنه من الأجدر أن نسميها مدنيات .. وهناك فرق بين المدنية والحضارة فالمدنية Civilization تعني العيش في المدينة (Civis في اللاتينية) ولوازمها من تقنيات وماديات من أجهزة مواصلات وخدمات معقدة، والتي لا ترفع الإنسان ولا تسمو به إلى مستويات الخلق القويم، ولا تعمل على نزع دوافع الشر والحقد.

---

(١) المرسلات ٨-١٠.
(٢) التكوير ١١.
(٣) التكوير ٦.
(٤) د. توفيق يوسف الواعي الحضارة الإسلامية دار الوفاء (وأدين في هذا الفصل إليه في مواضع كثيرة)

الغزو الفكري ومفهوم الحضارة الخاطئ

من المفاهيم الضالة التي أدخلها الغزو الفكري في قلوب أبناء المسلمين ورؤوسهم مفهوم الحضارة، مما جعلهم يتوهمون أنهم تأخروا بسبب إسلامهم، وأن تخلفهم المعيب يرجع إلى تمسكهم بمبادئ دينهم الحنيف.

هذا الوهم جعلهم يبحثون عن الحلول لا في إسلامهم الذي انسلخوا منه وإنما في الحضارة الغربية الزائفة، التي صورت لهم أن الحضارة هي التقدم المادي والعلمي والتكنولوجي والتيسيرات المادية التي تأخذ عن الإنسان ما كان يحمله من جهد، والتي صورت لهم أن الحضارة هي الخبز والوقود والمصانع والآلات والسيارات والقطارات والصواريخ والدبابات والطائرات إلى غير ذلك من مخترعات وتيسيرات مادية تجمعت لهذا الجيل ما لم تتجمع قط لجيل آخر من أجيال البشرية.

أنكرت تلك الحضارة القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية الرفيعة واعتبرته لغو ساقط من الحساب!

هذا المفهوم الخاطئ للتحضر والحضارة دفع أبناء المسلمين إلى الأخذ ببعض أسباب القوة المادية، فغرقوا في الترف الغربي إلى أذقانهم، في صورة بيوت حديثه، وفرش وثيرة، وسيارات وطائرات، وملابس وغيرها، وانسلخوا من إسلامهم ونبذوه، واعتقدوا أنهم بذلك سيخرجون من ذلتهم وهوانهم.

إن الحضارة الغربية تمثل أرقى ما وصل إليه الإنسان من حياة مادية، ولكن ليس بهذا وحده يسعد الإنسان، لقد فجرت الحضارة المادية في النفوس كل ينابيع الألم والحيرة والاضطراب، وقضت بانسلاخها عن قيم الإسلام على كل سلاح يعتصم به الإنسان ضد الخوف والقلق والمصائب، والعدوان.

لقد بدأ الغربيون يدركون إفلاس حضارتهم من الناحيتين الروحية والأخلاقية وبدأ الكثير منهم يتجه نحو الشرق علّه يجد ما يسد فراغه الروحي، ويرده إلى إنسانيته الكريمة.

مفهوم الحضارة في كتب التاريخ المدرسية

طرح بعض المؤلفين مفهوما ماديا للحضارة الإنسانية، وأغفلوا الجانب الروحي،

واثر العوامل الروحية في قيامها، بعد أن انساقوا وراء كتابات المستشرقين الذين فسروا أحداث التاريخ تفسيرا ماديا من خلال النمط الاقتصادي السائد في المجتمع، وهو تفسير له خطورته بسبب غياب الفكرة الإسلامية، ولأنه يتنافى مع عقيدة المسلم، ويهبط بالإنسان إلى درك الحيوان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(١).

مفهوم الحضارة من منظور إسلامي

الحضارة هي مجموع الأعمال التي ابتكرها الإنسان، وما حققه من انجازات، مستعينا بالله تعالى في مجالات الفكر والفن والاقتصاد والعمران، وغيرها من أجل خدمة البشرية وسعادتها خلال مراحل التاريخ الإنساني.

لذلك لا تعد الحضارة إلا إذا كانت تكرم الإنسان الذي كرمه الله، وتنزله المنزلة التي أرادها الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(٢).

إن الحضارة تقاس بحسب ما تقدمه للإنسان من أمن وأمان وكفاية واطمئنان، وتعاون ومحبة، وبحسب أيضا ما تمنحه للناس من لذة حسية، وقيم تشعرهم بالسعادة والهناء، وإن الحضارة هي لا إله إلا الله، وما يترتب عليها من آثار، وما تولده من قيم.

لذلك فإن التقدم المادي فقط ليس هو الحضارة، وإنما معيار الحضارة هو القرآن الكريم والسنة المطهرة والمجتمع المسلم الملتزم بهما، أي أن المجتمع المسلم الملتزم هو المجتمع المتحضر وليست المجتمعات الوثنية الكافرة، أو الشيوعية الملحدة، أو العلمانية المتقدمة ماديا، والتي تستقي قيمها وعاداتها وتقاليدها بعيدا عن الإسلام.

الحضارة الحقة ليست الآلة أو المصنع، وليست هي التعري والسفور وتقليد الغرب، وعلى ذلك فالحضارة في المنظور الإسلامي لا تهمل الجانب المادي الذي تعمر فيه الأرض، ويقدم فيه الخير للإنسان وللناس ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُواْ فِي الأَرْضِ

(١) محمد ١٢.
(٢) الإسراء ٧٠.

وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللّهِ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

الحضارة الحقة عبارة عن منهج أخلاقي.. منهج هداية.. توجه الإنسان إلى ربه، ولا تنسى الإنسان بخالقه، كما يضبط علائق الناس ببعضهم.. الحضارة هي الحق والعدل والقيم الإنسانية والمثل العليا، لاظلم في المجتمع، ولا استبداد فيه ولا قهر ولا استعباد.[2]

تعريف الحضارة ومدلولاتها

لقد اتسع مفهوم الحضارة، واختلفت التعريفات، وأصبح مدلولها يتسع لما لا يتسع له المعنى اللغوي. المسلم يراها عقيدة وخلقا وسلوكا يوفر السعادة والرفاهية للإنسان، فضلا عن الازدهار الاقتصادي والسبق العمراني والتقدم الصناعي والنظام الإجتماعي والتشريعي.

وغير المسلم يراها في الإباحية المطلقة، السلطة القاهرة، والقوة الباطشة، وغير ذلك.

الحضارة عند فلاسفة الغرب وغير المسلمين

يعتبر كليسكليس واتباعه ونيتشه وأتباعه "أن الحضارة هي القضاء على العدل والأخلاق وترك العنان لطبيعتنا الحرة السافرة لتفعل ما تشاء، ولو أدى ذلك إلى أن نسير على الجماجم في سبيل تحقيق ذلك"، إن الأخلاق ليست إلا اختراع الضعفاء لكي يقيدوا بها سلطان الأقوياء فلنكن حربا على الأخلاق.. يجب أن نترك العنان لطبيعتنا المطلقة.. يجب أن يكون لنا الجسارة فيما به نحيا حياه حرة سافرة في وضوح النهار، إذا ما اقتضى ذلك أن نسير في طريق من الجماجم دون أن يتحرك ضمير بملام، يجب أن نرسل صرخة الحرب دون وجل أو ندم في وجه مصطلحات أخلاق القطيع"[3].

ومن العجب أن لهذا الفكر الشيوعي حضارة ودعاة وجيوش وأساطيل وصحف

---

(١) الجمعة ١٠.

(٢) أنظر محمود شاكر موسوعة التاريخ الإسلامي، توفيق الواعي الحضارة وكتابات د. حسين مؤنس رحمه الله.

(٣) توفيق يوسف الواعي الحضارة الإسلامية نقلا عن أدريه كرش ص ٣٢ المشكلة الأخلاقية والفلاسفة

وإعلام.. يعتبر الدين أفيون الشعوب والجنس كلأ مباح، والشهوة متاع محبب، والشرف كلمة يرددها الرجعيون المتزمتون!!.

الحضارة عند علماء المسلمين

يُعَرِّفُ أبوالأعلى المودودي الحضارة فيقول " هي تصور سليم للحياة الدنيا، ونماذج من نظام اجتماعي يقود الإنسان إلى الرقي والإخاء والأمان".

ويقول الشهيد سيد قطب ان الحضارة" هي ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم، ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية، وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين.. النمو والترقي للعنصر الإنساني وللقيم الإنسانية وللحياة الإنسانية".

أما محمود شاكر فيرى أن الحضارة لا تعد حضارة إلا إذا كانت تكرم الإنسان وتنزله المنزلة التي أرادها له الله عز وجل. ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبات..﴾[1].

أما إذا استبدت به الحضارة واستعبدته وأذلته، فهي حينئذ لا تسمى حضارة، لأن من أبرز سمات الحضارة، الصفة الإنسانية، فإذا لم تتسم بالصفة الإنسانية أو إذا زالت عنها، فإنها تصبح تسلطا وإرهابا.

ولهذا فإن الآثار العمرانية الهائلة من أبنية وقصور، وهياكل وأهرامات ومعابد ومسارح، أقامها الإنسان وشيدها بتسخيره لأخيه الإنسان في بنائها وإكراههم على العمل فيها ليل نهار، والسيف مصلت على رؤوسهم والسوط على أظهرهم، ليست حضارة، لأنها قامت على الظلم والاستبداد، ولم تقم لخدمة الناس وسعادتهم.

هذا الفريق ينظر إلى الحضارة على أنها مجموع الأعمال التي ابتكرها الإنسان، وما حققه من انجازات في مجالات الفكر والفن والعمران، لخدمة البشرية وسعادتها خلال مراحل التاريخ.

ينظرون إلى الحضارة على أنها تصورات ومفاهيم وقيم تصلح لقيادة الإنسانية وسعادة البشرية، وتسمح بالنمو والترقي.

---

(١) الإسراء ٧٠.

الحضارة ليست حدائق غناء،وأرائك مبثوثة، وفرش مبسوطة، وعمارات شاهقه ومخترعات عجيبة، وأجهزة معقدة إلا إذا كانت مصحوبة بسياج واقي من القيم، ونور كاشف من التصورات والمبادئ الفاضلة، وقد يكون هذا التقدم الصناعي والعمراني أثار من آثار حضارة الإنسان صاحب القيم وحينئذ تؤتي أكلها، وتعطي ثمارها شهد يكون فيه سعادة للناس وشفاء لما في الصدور.(١)

ويرى هذا الفريق من علماء المسلمين أن الحضارة إذا أفقدت الإنسان اطمئنانه واستقراره ومثله الإنسانية الرفيعة، وجعلت الرفاه المادي هو المثل الأعلى الذي تستحث الخطى نحوه، فلا تكون حضارة لأن الحضارة تقاس بحساب ما تقدمه للإنسان من أمان واطمئنان وكفاية، وتفاهم وتعاون ومحبه، وما تمنحهم من قيم تشعرهم بالأمان.

المدلول الإصطلاحي للحضارة

تطلق الحضارة اصطلاحا على كل ما ينشئه الإنسان عقلا وخلقا، مادة وروحا، ودينا ودنيا، وهي في إطلاقها وعمومها قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان، وما صورت به علائقه بالكون وعلومه، وهي نظير المدنية التي هي في الأصل سكنى المدن والتي تقابل الكلمة الأوربية Civilization، والحضارة بهذا المعنى أهم من الثقافة التي تطلق على الجانب الروحي أوالفكري من الحضارة، بينما تشمل الحضارة الجانبين الروحي والمادي أو الفكري والصناعي.(٢)

ويعرف أبو الحسن الندوي الحضارة بأنها في معناها الواسع هي مجموع عقائد ومناهج فكرية وفلسفات ونظم سياسية واقتصادية، وعلوم طبيعية وعمرانية واجتماعية وتجارب خاصة مرت بها الشعوب.(٣)

الإسلام والحضارة

للإسلام نظرة حضارية متميزة تقوم على القيم والخصائص الإنسانية العليا التي ينفرد بها الإنسان عن الحيوان، إنسانية الإنسان هي قيمته العليا في الحياة، ويجب أن

---

(١) المصدر السابق.
(٢) عمر عودة الخطيب ـ لمحات في الثقافة الإسلامية ـ مؤسسة الرسالة نقلا عن د. محمد محمد حسين ـ الإسلام والحضارة الغربية.
(٣) أبو الحسن الندوي ـ مواقف العالم الإسلامي تجاه الحضارة الغربية.

تكون موضع تكريم واحترام، وعقيدته هي ميزانه وقوته الدافعة، وقانونه في نفسه ومجتمعه يجب أن تكون موضع النظر والاعتبار، وتصرفه في المادة التي هي من نعم الله يجب أن تكون فيما أمر الله أي على شكل يحقق الفائدة والنفع والهداية.

والإنتاج المادي من مقومات الخلافة في الأرض سخره الله لنا وأمرنا أن نسير في الأرض لتحصيله والاستفادة منه.

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾(١)، ولكن المسلم لا يعتبر هذا غايته، ولا يتصوره القيمه العليا التي تستعبد الإنسان وتهدر كرامته وتجعله خاضعا ذليلا، ولا تبدد خلقه، وتحرمه من القيم العليا والفضائل الحسنة، وإلا انقلب الإنسان إلى شئ آخر غير الإنسان، قد ينقلب إلى حيوان، وقد يكون أشر منه وأضل ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(٢)، ﴿إِن هُم إِلا كَالأَنعَامِ بَل هُم أَضَلُّ﴾(٣)

في الحضارة المادية الحديثة يكون الإنتاج المادي هو القيمة العليا التي تهدر في سبيلها كل القيم والخصائص الإنسانية العليا.. هذا المجتمع لا يصح أن يطلق عليه أنه مجتمع متحضر، بل هو متخلف وفي أدنى صور التخلف.

وقد أشار القرآن الكريم على أمثال هذه المجتمعات الخاوية التي حصرت نفسها في القيم المادية، وعبثت بالعقائد والقيم والأخلاق، فكان ذلك وبالا عليها وعلى الإنسانية.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ۞ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۞ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۞ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۞ فَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۞ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٤)

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ، كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۞ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ۞ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ

(١) الأعراف ٣٢.
(٢) محمد ١٢.
٣) الفرقان ٤٤.
(٤) الشعراء ١٢٨-١٣٦.

لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا، سُنَّتَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ، وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

لذلك لا بد من قيم تحرس المادة وتهيمن عليها، حتى تسمى حضارة وتسلم من عبث العابثين.[2]

يقول المفكر الإسلامي محمد قطب "لقد كان فهم الأجيال الأولى من المسلمين للحضارة مستمدًا من روح الإسلام، ومتفردا ككل شئ في هذا الدين.. فإذا كانت جاهليات معاصرة لمولد الإسلام وسابقة له ولاحقه قد ركزت على المعنى الروحي للحضارة، وأهملت الحياة الدنيا، وأهملت العمارة المادية للأرض، بوصفها أمورا ألصق بالحس، وأقرب إلى متاع الجسد، والجسد ملعون ومحتقر ومستقذر... وإذا كانت جاهليات أخرى قد ركزت على الجانب المادي للحضارة وأهملت الآخرة. وأهملت عالم الحضارة، وأكبت على عالم الحس وعالم المادة، تبدع فيهما كل عبقريتها، وتصب فيها كل طاقتها، بصرف النظر عن القيم والمثل والمبادئ.

فإن الإسلام المنزل من عند الله اللطيف الخبير خالق الإنسان والعليم بأحواله وحاجاته، وما يصلحه وما يصلح له هو المنهج الشامل الكامل، الذي لا يهمل جانبا من جوانب الإنسان، ولا يلبي جانبا منه على حساب جانب آخر والذي يستجيب للفطرة السوية كما خلقها الله:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۞ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾[3].

هذا التكوين الإنساني المترابط، الذي لا تنفصل فيه قبضة الطين عن نفخة الروح، ولا نفخة الروح عن قبضة الطين له مفهوم شامل لعالم الجسد وعالم الروح ينبغي أن يكون له واقع حيوي يتسم بذات الشمول والترابط المتمثل في تكوين الإنسان.

المفهوم الإسلامي للحضارة هو مفهوم العبادة

حدد الله تعالى غاية الوجود الإنساني في قوله ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ

(١) غافر ٨٢-٨٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) ص ٧١-٧٢.

لِيَعْبُدُونِ﴾[1] وتحقيق غاية الوجود الإنساني هو الذي تنشأ عنه الحضارة في الواقع البشري، وهو المعيار الذي تقوم به صعودا أو هبوطا واستقامة أو انحرافا.

وحين تختلف النظرة إلى غاية الوجود الإنساني تختلف النظرة إلى الحضارة، فحين تكون غاية الوجود الإنساني هي الإستمتاع بما في الأرض من متاع، بصرف النظر عن القيم المصاحبة لهذا المتاع من حلال وحرام، وخير وشر، وفضيلة ورذيلة، ورفعة وانتكاس تكون الحضارة هي العمارة المادية للأرض، وهي تيسير الحياة الأرضية وتزيينها والانكباب على لذائذها، وتكون في الوقت ذاته هي محاولة التغلب على الآخرين للإستئثار بأكبر قدر من المتاع ومحاولة إخضاعهم بالقوة والقهر، سواء بالقوة المادية أو القوة العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية او العلمية أو كلها جميعا.

أما حين تكون الغاية هي عبادة الله بالمفهوم الواسع الشامل للعبادة يكون مفهوم الحضارة هو مدى تحقيق الإنسان للغاية من وجوده، ومدى تفوقه أو تخلفه في تحقيق هذا الوجود.

إن ما تنتجه الجاهليات من منجزات مادية أو عقلية (أوروحية أحيانا) ليس حضارة حقيقية، وإن بدا رائعًا وضخمًا أحيانًا، وإن بهر أعيننا لأول وهلة لأنه لا يحقق غاية الوجود الإنساني.

إن تحقيق الجانب الروحي للإنسان وحده على حساب الجانب الروحي والمادي، وفي عزلة عنه لا يحقق غاية الوجود الإنساني كاملة، كما بينها المنهج الرباني، وإن تحقيق الجانب الحسي والمادي من الإنسان والحياة البشرية على حساب الجانب الروحي وفي عزلة عنه لا يحقق كذلك غاية الوجود الإنساني بل يتجه إلى الدمار والبوار.

ومن ثم فكلاهما لا يشكل حضارة بالمفهوم الصحيح للحضارة.

كما أن اجتماع الجانبين معا على غير قاعدة صحيحه كما حدث في الجاهلية الفرعونية التي شملت عالم المادة وعالم الروح، ولكن على قاعدة تأليه الفرعون والعبودية له من دون الله، لا يشكل كذلك حضارة بالمفهوم الصحيح.

(١) الذاريات ٥٦.

كيف نقيم الحضارة الصحيحة؟

إن الحضارة الصحيحة هي التحقيق السوي لغاية الوجود الإنساني في الأرض، التي حددها قوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[1]، وفسرها قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ﴾[2] وهذا يعني:

(١) إقامة الصلاة والنسك بالمدلول والمقتضى الحقيقي لهما.

(٢) إقامة شريعة الله في الارض والحكم بما أنزل الله.

(٣) إقامة العدل الرباني في الأرض كما أراده الله أن يكون وأخرج هذه الأمة لتقيمه ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾[3].

(٤) إقامة الحياة كلها على قاعدة أخلاقية مدارها تقوى الله وخشيته، فتكون السياسة ذات أخلاق يحكم فيها ولي الأمر بشريعة الله، وتلتزم فيها الأمة بالسمع والطاعة فيما يأمر به موافقا لشريعة الله، ويكون الاقتصاد قائما على الالتزام بما أحل الله وتحريم ما حرم الله من ربا واحتكار وغش وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك.

(٥) إقامة فنون نظيفة، تلتفت إلى الجمال في الكون وفي الحياة البشرية، ولا تزين الفاحشة والإنحراف والشذوذ ولاتزين عبادة الشيطان وعبادة الهوى والشهوات.

(٦) عمارة الأرض باستخلاص طاقات السموات والأرض وتسخيرها لخير الإنسان ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾[4].

وهذا الجانب من العمارة المادية يحتاج إلى كدح ذهني وعضلي لتحقيقه، ويحتاج إلى علم ومعرفة بخواص المادة وسنن الله تعالى التي يجري بها هذا الكون، ثم استخدام هذه المعرفة في المجال التطبيقي لها في الفيزياء والكيمياء والطب والهندسة وسائر العلوم وفق المنهج الرباني.

---

(١) الذاريات ٥٦.
(٢) الأنعام ١٦٢-١٦٣.
(٣) النساء ١٣٥.
(٤) هود ٦١.

المنهج الإسلامي والحضارة المادية

الحضارة الصحيحة ليست هي هذا التوسع في الاختراعات والفنون والصنائع والآلات الفتاكة المدمرة، وإنما هي قبل كل شئ أخلاق فاضلة تثمرائتلاف الأفراد واتحاد الجماعات، وهي سيرة تكسب المتمدن صحة في الجسم والعقل، وسعادة في الدنيا وفي الأخرة، وسعي وعمل يلدان عمران البلاد وارتفاء الحالة الإجتماعية، وإقدام على تطهير النفس من الرذائل لاكتساب الفضائل واحجام من الضرر بالناس وابتعاد عن مناكر الأخلاق، وبذل لتخفيف ويلات البائس وتشييد صروح المدارس[1].

يقول **الإمام محمد عبده** في كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ١٥٦-١٥٧:

[لم يكن الغرب الصليبي هو أول من عمر الأرض.. والمسلمون هم مهبط المدنية وينبوعها وذلك منذ ان انتشر الإنسان في أجزاء الارض، ومنذ أنزلت الكتب السماوية التي بينت حقوق الأفراد والمجتمعات، وهذبت الأخلاق وأرشدتها إلى تشييد الممالك وتعمير المسالك وتحسين الأحوال، وبعد أن تبني العرب المسلمون ثقافة اليونان وأدخلوها في مدنيتهم وفي إسهاماتهم التي ما لبثت أن نقلت إلى الغرب لتنقله إلى نور العلم والعرفان والعمل التقني.][2].

إن مبادئ الإسلام الحقيقية مكنت العرب من بناء أعظم المدنيات في التاريخ، وجعلتهم هداة البشرية، وهداة الغرب بصفة خاصة.

ويؤكد أحد مفكري الإسلام أن الإسلام دين الحضارة، وأنه ناموسا عاما للسعادتين، وضامنا لراحة الحياتين، فهو دين يرافق العقل جنبا إلى جنب ويمشي مع المدنية في طريق واحده، ويصافح الإنسانية بيديه، نهض بالإنسانية، وأقام بناءها على أساس من العدل والمساواة والأخلاق والتربية والسياسة المثلى، مما يصلح لكل زمان ومكان وكل أمه، ولقد خلص هذا الدين الإنسانية من عقيدة الشرك وفساد الأخلاق.

كما يؤكد أن أوربا تدين برقيها وتمدنها لما اكتسبته من تآليف علماء الإسلام وآرائهم التي اقتبسها الأوربيون بعد الحرب الصليبية فأفادوا مما فيها من علوم وفنون واكتشافات وتجارب أصلحوا بعض ما فيها من الخطأ وطوروها.

---

(١) فهمي جدعان ص ٤٠٤ نقلا عن مصطفى الغلاييني ـ عظة الناشئين ـ المكتبة الأهلية بيروت ص ٧٧-٧٨.
(٢) نفس المصدر.

ويؤكد الشهيد سيد قطب[1] على أن المنهج الإسلامي لا يرفض الحضارة الصناعية ولا يتنكر لها، فهي وليدة العلم التجريبي، هذا الاتجاه الذي انتقل إلى أوربا عن طريق جامعات المشرق وعلمهن والذي هو أصلا وليد نظرة الإسلام إلى الكون والإنسان والحياة، وأن المنهج الإسلامي لا يرفض الأساس العلمي التجريبي لهذه الحضارة، وإنما يرفض المذهب المادي الذي يجعل المادة هي الوجود ولا شئ غير المادة، ويرفض النظرة الحيوانية للإنسان التي أطلقها "دارون" والنظرة القذرة إلى دوافع الإنسان، وحصرها في وحل الجنس كما فعل "فرويد"، وكذلك الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تهدر قيمة الإنسان، وتقضي على إنسانية الإنسان وعلى خصائصه العامة والفردية.

والإسلام هو النظام الوحيد الذي يستجيب لنداء الفطرة الإنسانية، وتحقيق ذلك مرهون بحتمية ميلاد المجتمع الإسلامي الذي هو ضرورة إنسانية وحتمية فطرية وطريقة طويلة وشاقة ومليئة بالأشواك.

ويقول المفكر العراقي عبدالرحمن البزاز في نظراته التربوية (نظرات في التربية والإجتماع والقومية): "إن داء العالم الإسلامي وبليته الكبرى هي فقدان الوازع الوجداني، وتحطم المثل الروحية وغلبة المصالح أو الشهوات المادية، وليس في هذا الكون علاج يربي وجدان الفرد وينمي ضمير الجماعة ويرفع من شأن المثل المعنوية ويحد من شهوات الأفراد كالإسلام".

يقول "مالك بن نبي" وهو من أبرز مفكري العرب المسلمين الذين عنوا بالفكر والحضارة: "إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته مالم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، مالم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أوتهدمها".

ويتساءل فهمي جدعان فيقول: ما هي بالضبط المشكله التي تبحث عن حل؟ إنها مشكلة المجتمع الإسلامي الذي ظل دهرا طويلا خارج التاريخ يشكو المرض ولا يجد الدواء المناسب.. ينشد النهضة وهو مصاب بكساح عقلي واجتماعي لا يبرأ منه.. لقد رأى جمال الدين الأفغاني أن المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية، بينما رأى الشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والتربية والوعظ.. واقترح آخرون تشخيصات وعلاجات لا يتناول معظمها المرض وإنما يتناول أعراض المرض فنتج عن

(١) نقلا عن الإسلام ومشكلات الحضارة ص ١٨٧، أنظر أيضا ـ سيد قطب ـ هذا الدين ومعالم في الطريق.

هذا كله أن أكثر من نصف قرن قد مضى والاطباء يعالجون الأعراض لا المرض.

ومن ثم دخل العالم الإسلامي إلى صيدلية الحضارة الغربية طالبا الشفاء، فهو يتعاطى هنا حبة ضد الجهل ويأخذ هناك قرصا ضد الاستعمار. او يبنى هنا مدرسة.. وينشئ هناك مصنعا.. وهكذا.

أما المرض الحقيقي فلا أحد يعرفه وكل دواء بالتالي عقيم، ولهذا لا نلمح في أي مكان شبح البرء كما أننا لا نجد أمامنا حضارة أيه حضارة، والسبب واضح وهو:

أن مقياس الحضارة قد قلب رأسا على عقب، فإن الذي يكرس منتجات الحضارة لا يصنع حضارة، إن المقياس العام في عملية الحضارة هو أن الحضارة هي التي تلد منتجاتها.. وإنه لمن السخف أن ننشئ حضارة بشراء منتجات حضارات أخرى وتكديسها.

إن أية حضارة لا يمكن أن تبيع جملة واحدة، الأشياء التي تنتجها ومشتملات هذه الأشياء.. لا يمكن أن تبيعنا روحها وأفكارها وثرواتها الذاتية وأذواقها وكافة المعاني التي لا تلمسها الأنامل والتي بدونها تكون كل الاشياء التي تؤخذ فارغةمن كل معنىوهدف.

ولما كانت الحضارة هي مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي حيث ينشأ ويتقوى هيكلها، وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها، فإنها حين شراء منتجاتها تمنح المشتري الهيكل والجسد لا الروح، وهي ممتنعة كما، لأنه يبدو أنه من غير الممكن شراء كل اشياء الحضارة، وحتى لو تم ذلك فإن الحاصل هو حضارة شيئية، ويؤدي ذلك إلى حالة حضارة ولكن يظل الفرق كبيرا بينها وبين الحضارة الحقيقية التي تقوم على تجربة مخططة منبثقة من الواقع الإجتماعي[١].

إن مالك بن نبي يرى أن أية محاولة لإعادة بناء الحضارة الإسلامية ينبغي أن تستند إلى وعي كامل بتاريخ هذه الحضارة وبالمراحل التي مرت بها أو انتهت إليها.

شاهد على الحضارة الغربية [٢]

يقول على عزت بيجوفيتش[٣]

---

(١) أسس التقدم فهمي جدعان ص ٤١٦-٤١٨

(٢) عزت بيجوفيتش الإسلام بين الشرق والغرب مؤسسة بافاريا. الفصل الثاني (الثقافة والحضارة)

(٣) كاتب ومفكر إسلامي معاصر رئيس جمهورية البوسنة والهرسك وهو عالم وفيلسوف وأديب يقف أمام العالم بأسره في محنة بلاده الحالية المريرة التي ذاق فيها محنة الغرب وخذلان الشرق.. نشأ في قلب نظام شيوعي مستبد ولكنه لم يستسلم له، بل ظل معتزا بإسلامه مناضلا صلبا.. ولد عام ١٩٢٥ من أسرةمسلمة

الحضارة الغربية هي استمرار للحياة الحيوانية ذات البعد الواحد، التبادل المادي بين الإنسان والطبيعة، هذا الجانب من الحياة يختلف عن الحيوان فقط في الدرجة والمستوى والتنظيم. ووظيفة الإنسان هنا أن يتعامل مع سلع الطبيعة ويغير العالم بعمله وفقا لاحتياجاته.

الحضارة الغربية هي استمرار للتقدم التقني لا الروحي، والتطور الداروينى هو استمرار للتقدم البيولوجي لا للتقدم الإنساني.

الحضارة الغربية تعزز التبادل المادي بين الإنسان وبين الطبيعة، وتغري الإنسان بالحياة البرانية على حساب الحياة الجوانية "إنتج لتربح واربح لتبدد".

وفقا لكلام العالم الأمريكي "جوليس روبرت أوبنهيمر" مخترع القنبلة الهيدروجينية، فإن الجنس البشري قد حقق تقدما تكنولوجيا وماديا في الأربعين سنة الماضية أكثر مما حققه خلال الأربعين قرنا الماضية.. وإن اليوم الذي ستقوم به الكابلات الكهربائية تحت الأرض بتسيير السيارات الكهربائية على الطريق قريب، وأن المسافات المتاحة للإنسان قد زادت من (١٠^١ إلى ١٠^٢)، وفي مدى ٣٠ سنة قادمة سوف تستبدل تماما المحركات ذات المكبس القديم بسفن تديرها الطاقة النووية.

أما جان روستاند Jean Rastand Humanly Pssible A Biologists Notes of Future فقد بحث تطور الإمكانات السحرية للبيولوجيا، حيث ذهب إلى أنه باستخدام مواد وراثية من أناس بالغي الذكاء سيتمكن الجنس البشري من تشكيل نفسه.

ويقول عزت:

وتكشف الإحصاءات أنه في سنة ١٩٦٥ كان هناك ٦٩ مليون سيارة و٦٠ مليون

بوسنية عريقة بمدينة كروبا في البوسنة والهرسك، تعلم في مدارس سراييفو والتحق بجامعاتها وحصل على درجة في القانون والآداب والعلوم.. حكم عليه بالسجن عام ١٩٤٩ في عهد تيتو خمس سنوات مع الأشغال الشاقة لعلاقته بمنظمة الشبان المسلمين التي تأسست من علماء بوسنيين تلقوا تعليمهم في الأزهر الشريف بالقاهرة، وتأثروا بالحركة الإسلامية في مصر فنقلوها.

ألف كتابان هما "الإعلان الإسلامي" و"الإسلام بين الشرق والغرب" في السبعينات وأوائل الثمانينات.

واجه مع شعبه أعتى منبحة في التاريخ الحديث بعد أن تخلى عنهم العالم بمسيحييه القادرين ومسلميه الخانعين أو العاجزين.

حكم عليه عام ١٩٨٣ في محكمة سراييفو مع أحد عشر آخرين من مثقفي البوسنة - من بينهم شاعره - بالسجن أربعة عشر عام بتهمة الإنحراف إلى الأصولية.

جهاز تليفزيون و ٧,٧ مليون قارب ويخت في الولايات المتحدة، وأن خمس السلع الشخصية في الولايات المتحدة هي مواد للرفاهية، وقد حسب أحدهم فوجد أن الدول الغنية تنفق ١٥ بليون دولار في السنة على مواد الزينة وحدها، ويعتبر مستوى المعيشة أعلى خمس مرات مما كان عليه سنة ١٨٠٠م. وفي استين سنة القادمة سيكون أعلى خمس مرات مما هو عليه الآن... ثم يضيف قائلا:

بعد هذه الرؤية المتفائلة، من حقنا أن نتساءل: هل يعني هذا أن الحياة ستكون أغنى خمس مرات وأنها ستكون أسعد وأكثر إنسانية؟.. إن الإجابة على هذا السؤال تبدو واضحة.

(١) في الولايات المتحدة وهي أغنى دولة في العالم وقعت خمسة ملايين جريمة سنة ١٩٦٥، وتحدث جريمة كل ١٢ ثانية، وجريمة قتل بالذات كل ساعة، وجريمة اغتصاب للعرض كل ٢٥ دقيقة، وجريمة سرقة كل خمس دقائق، وسرقة سيارة كل دقيقة.

(٢) في ألمانيا زادت جرائم القتل خلال ١٣ سنة ثلاث مرات، ففي سنة ١٩٦٦ سجل مليونا جريمة زادت في سنة ١٩٧٠ ٤١٣,٠٠٠ جريمة، وزادت نسبة جرائم القتل العمد ٣٥٪ خلال السنوات العشر الأخيرة، وزادت نسبة جرائم العنف في اسكتلندا في المدة نفسها ١٠٠٪.[١]

لقد اعترف علماء الجريمة في أمريكا بأن كوكبنا هذا هو محيط من الجانحين، فالناس جميعا، بشكل أو بآخر، لديهم نزعة للجنوح، وأنه لا يوجد أمامنا مخرج من هذه الكارثة.

وفي تقرير للأمم المتحدة تحت عنوان "الوضع في العالم سنة ١٩٧٧" كشف عن بعض الحقائق في دولة صناعية لم يصرح باسمها: أن عدد المراهقين الذين تعامل معهم البوليس قد ازداد من مليون واحد سنة ١٩٥٥ إلى ٢,٤ مليون سنة ١٩٦٥[٢]

وذكر سكرتير عام الأمم المتحدة في تقرير له: " أن بعض الدول الأكثر تقدما لديها مشكلات خطيرة في مجال الجنوح.. فبرغم التقدم المادي لم تكن الحياة الإنسانية أقل أمنا

(١) مستقاه من Yearly Report Of FBI
(٢) الأمم المتحدة U.N.Report: The situation of the world in 1970 Paris Unesco.

مما هي عليه اليوم، وأن مختلف الأشكال من الجرائم من سرقة وغش وفساد وجرائم منظمة، تمثل ثمنا عاليا يدفعه الإنسان من أجل وسائل الحياة العصرية والتقدم"[1]

وأظهر البحث الذي قام به عالم الطب النفسي السوفيتي هداكوف Sydia Hodakov توسعا مخيفا في تعاطي الخمور، خصوصا في الدول المتحضرة بعد الحرب العالمية الثانية، وهناك توسعا أشد في تعاطي الخمور بين النساء والشباب، ولن الأمر ينتهي بهم عادة في مستشفى الأمراض العقلية.

لقد أصبحت مشكلة إدمان الكحول في هذا القرن مشكلة الأغنياء ومن أي شئ يهربون؟ لقد اعتدنا من الماضي أن نربط بين الإدمان والفقر والتخلف، وكان عندنا أمل في مستقبل أفضل. ولكن المأزق الآن مأزق شامل.

أما الغزو البشع للأدب الإباحي، فأكثر الدول تقدما مثل فرنسا والدانمرك وألمانيا الغربية تحتل المركز الأول في هذا المجال حيث تمثل الأفلام الإباحية أكثر من نصف مجموع الأفلام السينمائية.. في باريس وحدها يوجد ٢٥٠دار للسينما مخصصه لعرض هذا اللون من الأفلام، وقد حاول الطبيب النفسي الشهير البروفسر "بلانشارد" أن يفسر هذه الظاهرة فقال:

"إن الأيدلوجية المسيطرة تكبت الشخصية أكثر وأكثر، فهي توجه الإنسان لحياة آلية وفقا لخطة (نوم - قطار - عمل) وهي خطة تمنح مستوى معينا من المعيشة، ولكنها تحرم الإنسان من الخبرة والإثارة الحقيقتين، كل شئ مجهز سابقا، حتى الاجازات منظمة ومخططة، ولهذا السبب يحتاج معظم الناس غريزيا إلى الهرب من أنفسهم ليجربوا أنواعا من الإثارة الرخيصة. وتجد هذه الحاجة إشباعها في الأفلام الإباحية"

حتى ألعاب الحظ تتلائم مع تقدمهم في الحضارة، وهذه أيضا تتبع الاتجاه العام للرذائل مع إدمان الكحول والإباحية، والأدب الرخيص الهابط.

في كلية هنتر بنيويورك أكثر من نصف الطلاب يتعاطى الحشيش،وهو الخطوة الأولى نحو المخدرات الثقيلة.

وبعد الحرب العالمية الثانية، وفي هذه الدولة نفسها ذات الثراء والرخاء ظهر جيل

(١) سكرتير عام الأمم المتحدة U.N. Prevention and fighting against criminality.

يائس من الشباب يملك كل شئ ولكنه يعوزه كل شئ أولئك هم " الوجوديون" أو ما يسمون " بالجيل المهزوم" الذين يبشرون بفلسفة "العبث" وهو جيل من القصر المعرضين للإنحراف "والهيبز" الذين يتجاهلون الواقع ويسخرون من النظام والقواعد، وتنتشر أساليب سلوكهم وأفكارهم كما ينتشر الطاعون في المدن الكبرى في أنحاء العالم.

إنه لمن الخطأ الشديد أن نظن أن ثورة الشباب سنة ١٩٦٨ في أمريكا وفرنسا كانت ثورة سياسية أو أيدلوجية عقدية، فالذي حدث على الحقيقة ثورة أخلاقية ضد بعض مظاهر الحضارة، وصفها البعض بأنها ثورة بلاسبب كما قال مالرو malraux ثورة الشباب اللاعقلانية، وقال عنها أرثر ميلر إنها نتاج التكنولوجيا التي دمرت الإنسان كقيمة في ذاته.. وباختصار لقد اندثرت الروح وتلاشت، امتصتها العملية التقنية من الآخرين، فلم تبق لأحد منهم، إلا أن يكون زبونا لبائع أو عاملا تحت إمرة مدير، أو فقيرا أمام غني وبالعكس باختصار كعناصر يتلاعب بها بشكل او بآخر،وليست كشخصيات ذات قيمة".

كيف يمكن تفسير حقيقة أن عدد حالات الانتحار والأمراض النفسية تتناسب طرديا مع مستوى الحضارة؟

في الولايات المتحدة، هناك أربعة أشخاص من كل ألف شخص نزلاء في مستشفيات الأمراض العقلية، وهناك واحدا من كل خمسة أمريكيين طبقاً لتقرير رسمي لسلطات الصحة العامة الأمريكية سنة ١٩٧٨ عانى من انهيار عصبي أو كان على حافته.

في السويد تزداد حالات الانتحار وإدمان المخدرات والأمراض العقلية،مما يجعلها تنفرد بالرقم القياسي في الوقت الذي تقف فيه على رأس العالم من حيث الدخل القومي والضمان الاجتماعي.

الجامعات البريطانية أكثر ست مرات عن المتوسط القومي، بينما عدد حالات الانتحار في جامعة " كمبريدج" بالذات أكبر عشر مرات من عدد حالات الانتحار بين الشباب البريطاني في السن نفسه، وهي حالة تستدعي القلق حيث أن جميع الطلبة البريطانيين إما أنهم جاءوا من أسر ثرية أو على منح دراسية من الحكومة.

وما قيل عن الولايات المتحدة وبريطانيا وألمانيا والسويد ينطبق على اليابان التي

تقع على الجانب الآخر من الكرة الأرضية، مع بعض التعديلات الناجمة عن تماسك الثقافة اليابانية التقليدية، وقوة الأسرة اليابانية.

في عام ١٩٧١م انتحر ياسوناري كوباتا Yasanari Kawabata الحائز على جائزة نوبل في الأدب سنة ١٩٦٨، وقبل ذلك بسنتين في سنة ١٩٦٩ انتحر روائي ياباني كبير آخر هو "يوكيوميشيا" أنهى حياته بالطريقة نفسها.

لقد تزامنت المأساة المتواصلة للثقافة اليابانية التقليديةي خلال سبعين عاما مع اختراق الحضارة الغربية والأفكار المادية.

كتب كواباتا قبل انتحاره بعام يقول " لقد انفصل الناس بعضهم عن بعض بجدران من المسلح سدت الطريق أمام التواصل والحب،وهزمت الطبيعة باسم التقدم".

إن جميع ممثلي الثقافة يعتقدون بفشل الإنسان وهزيمته في الحضارة.

ويتساءل " أندريه مالرو"عن مصير آمال وتطلعات القرن التاسع عشر ويجيب "إنها أوربا التي دمرت ولطختها الدماء، هي التي دمرت الإنسان ولطخته بالدماء وهي تظن أنها تخلقه.[١]

وصوره مماثلة يراها "بول فاليري"[٢] Paul Valiry بعد الحرب العالمية الأولى مباشرة حيث يقول: هناك أمل يحتضر في ثقافة أوربية وفي معرفة لم تستطع أن تنقذ أي شيئ، وهناك علم مطعون حتى الموت في طموحاته الأخلاقية، وقد دنسته تطبيقاته الوحشية، والمثالية التي شقت طريقها يوما بين الصعاب نراها اليوم تتعذب أشد العذاب، وهي تسأل عن أحلامها المحلقة وواقعية هجرتها لأوهام مضروبة مطحونة محملة بالجرائم والخطايا المشهورة وإنكار الذات، كلاهما اصبح موضع سخرية، وارتبكت الأديان الصليب ضد الصليب والهلال ضد الهلال، هناك بعض الشكاكين اختلط عليهم الأمر بسبب هذه الأهوال، والأحداث بالغة السرعة، بالغة العنف، التي تسبب عاهات مستديمة لا يمحى أثرها، أحداث تلعب بأفكار كما تلعب الهرة بالفأر..

---

(١) من خطاب لأندريه مالرو سنة ١٩٦٤ في اليونسكو.

(٢) بول فاليري Paul Valiery: Collected work, ed Jakson Mathew vol. 10 camus L, home revalte

العدمية وفلسفة العبث

هما ثمرة أكثر بلاد العالم ثراء وتقدما.. هذه الفلسفة تتحدث عن عالم لا منطق، عن فرد منقسم على نفسه سيكلوجيا ومحطم، عن عالم أصم أبكم صامت.. إنها ليست فلسفة سامة على الإطلاق.. هي في الحقيقة فلسفة عميقة قادرة على التنوير.. إنها تعبير عن مقاومة الإنسان عن عدم رضاه عن العالم الذي ينمو بعكس الصورة التي أرادها لنفسه.. إنها تمرد على الحضارة ذات البعد الواحد.(١)

إن إخفاق الحضارة البين في سعيها لحل مشكلة السعادة الإنسانية بواسطة العلم والقوة والثروة إذا فهم وتم الاعتراف به، سيكون له أقوى أثر نفسي على الجنس البشري.

ومادامت الحضارة عاجزة عن حل مشكلة السعادة الإنسانية فلا بد أن تكون فكرة الدين هي الفكرة الصحيحة.

إن المادية ترفض الغائية أي أن للعالم غاية عليا، إن العدمية خيبة أمل بسبب غياب الخير من العالم، فكل شئ تافه وعدم، إذا كان الإنسان يموت إلى الأبد، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾(٢).

ينهي (بيجوفيتش) نقده للحضارة قائلا:

هذا النقد للحضارة ليس دعوة لرفضها، فالحضارة لا يمكن رفضها حتى لو رغبنا في ذلك، إنما الشئ الوحيد الضروري، والممكن هو تحطيم الأسطورة التي تحيط بها فإن تحطيم هذه الأسطورة سيؤدي إلى مزيد من أنسنة هذا العالم.

نكبة الحضارة الغربية

كانت فرنسا قبل دخول الجزائر تستورد القمح من الجزائر، وكانت جيوش الثورة تتغذى بالقمح الجزائري.

وما إن وصلت فرنسا إلى الجزائر مستعمرة، حتى أبادت القمح وفرضت على البلد الإسلامي الذي تحرم ديانته الخمر، زراعة الكروم بدلا من القمح لانتاج الخمور، وبذلك

(١) كامو
(٢) المؤمنون ١١٥.

قُضيَ على الإقتصاد الغذائي الذي كانت تنتجه الجزائر من قبل، وأصبحت تستورد القمح بعد أن كانت تصدره، وربطت فرنسا مصير الجزائريين بالخمور وانتاجها والارتزاق منها، والشرب والسكر والعربدة، والتخلي عن الهمة والكرامة، إلى أن قاوم الشعب الجزائري ذلك بعد جهاد مرير، فقد فيه أكثر من مليون شهيد وذاق الحرمان والتشريد على يد هؤلاء المعلمين المتحضرين، الذين تولوا الوصاية على البشرية والهيمنة على الإنسانية، فأذاقوها عذاب الهون، وآلام الاستعباد، وشقاء النفس والجسد.(١)

إن الحضارة الغربية حضارة نهمة ومسيطرة، تلتهم الشعوب التي تغزوها. لقد أبادت الحضارة الأفراد والشعوب، واستساغت لحوم الآدميين.

يقول المفكر الفرنسي "جارودي" في كتابه" حوار الحضارات": إن الغرب خاف العالم الثالث حين سار على طريق النمو منذ دخول الإنسان الأبيض القارة الأفريقية خلال القرن الخامس عشر، لم يكن هناك فارق شاسع بين مستوى تطور المجتمعات الأفريقية الحضاري ومستوى تطور الغرب، ولم يتأكد الفرق وتتسع الهوة بشكل مطلق إلا بعد أن نفذت المذابح ضد الهنود في أمريكا الشمالية والجنوبية.

كشف جارودي عن الثمن الذي دفعته الإنسانية، حتى وصل الغرب إلى مدنيته وكيف أن ملايين من الهنود الحمر ذبحوا من أجل الاستيلاء على أراضيهم، فأصبح في متناول الغرب مسافات شاسعة، ومصادر ثروة ضخمة.

ولما كانت اليد العاملة قليلة العدد أنشأ الغرب العبودية، وبدأت مرحلة تدمير أفريقيا. يقول جارودي: إن عملية العبودية كانت أساس أكثر إبادة شهدتها البشرية حتى الآن، لقد ادى دخول البيض لأفريقيا إلى هلاك مائة مليون أفريقي.. لقد فرض على البلاد المستعمرة اتباع أنواع لا تقنع بها، فشاهدت هذه المستعمرات مجاعات كبيرة نتيجة خراب اقتصادها الطبيعي..

في صباح السادس من أغسطس سنة ١٩٤٥م أغارت ثلاث طائرات أمريكية على مدينة هيروشيما اليابانية البالغ تعداد سكانها ٣٠٠ ألف نسمة، وألقت عليها أول قنبلة ذرية.

(١) د. يوسف الواعي - الحضارة الإسلامية - دار الوفاء ص٧٧٣

وفي صباح التاسع من أغسطس عام ١٩٤٥ أغارت الطائرات الأمريكية على مدينة ناجازاكي البالغ عدد سكانها ٢٧٠ ألف نسمة، وألقت القنبلة الذرية الثانية، وقد أذاع رئيس بلدية "هيروشيما" في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٤٩ أن الذين هلكوا في اليوم السادس من أغسطس ١٩٤٥م من اليابانيين يتراوح عددهم بين مائتي ألف وأربعين. وأن الذين هلكوا في القنبلة الثانية على نجازاكي ٣٦ ألف، والذين جرحوا بلغو ٤٠ ألفا، وقد لا يستطيع الإنسان أن يتصور هذا الهول ولاهذا الحجم من الدمار والخراب وسفك الدماء، الذي تسببه الحضارة، ويسببه تقدمها العلمي في هذا الجحيم المصبوب صبا على هذه الإنسانية المسكينة[1].

كان هذا في الأربعينات من هذا القرن، أما اليوم ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين وقد اخترعت قنابل وأسلحة أشد قوة وأشد هولا في التدمير والفظاعة مثل القنابل الهيدروجينية والنيترونية والعنقودية والفراغية والجرثومية وغيرها.

لقد شهدت البشرية في هذه الحقبة التي سيطرت عليها الحضارة الغربية من الدمار ومن وحشية الحروب ما تستنكف منه الوحوش والذئاب والثعالب.

وستشهد البشرية في مستقبلها إذا استمرت هذه الحضارة اللاأخلاقية صنوفا من الوحشية والبربرية والهمجية بما يتفق مع روح هذه الحضارة المادية الكافرة التي لا تؤمن بإنسانية ولا دين ولا خلق.

الحضارة الغربية وتدمير الخصائص الإنسانية

لم تسعى الحضارة الغربية إلى فهم طبيعة الإنسان الذي كرمه الله، ولم تقدر خصائصه أو تعمل على تهذيب ميوله ورغباته وشهواته بوضع نظام يشمل جوانب حياته ويتناسب مع طبيعته وخصائصه ويحتفظ بها لتؤدي غرضها في الحياة في سعادة الإنسان.

يقول **ألبرت شفايتزر** "نحن لا نقدر أهمية العنصر الروحي في الحياة حق قدره، إن الحضارة التي لا تنمو فيها إلا النواحي المادية، دون أن يواكب ذلك نمو متكافئ في ميدان الروح، هي أشبه ما يكون بسفينة اختلت قيادتها، ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة

(١) د. يوسف الواعي ـ الحضارة الإسلامية ـ ص ٧٧٥ دار الوفاء.

التي ستقضي عليها، ذلك أن الطابع الجوهري للحضارة لا يتحدد بإنجازاتها المادية، بل باحتفاظ الأفراد لكمال الإنسان وتحسين الأحوال المادية"[1]

لقد انطلقت الحضارة كالغول انسل من عقاله وأخذ يفترس هذا الإنسان و لا يعمل له حساب.

إن الإنسان هو سيد هذا الوجود، وهو محور ومدار نشاطه، وأي حضارة تسحق هذا الإنسان، ولا تقدر مواهبه، وتجهل خصائصه، وتغفل شعوره في قوانينها الاقتصادية والاجتماعية مقضي عليها بالفشل والخسران وهو ما وقعت فيه الحضارة المعاصرة.

إن الإنسان في التصور الإسلامي هو سيد الوجود الأرضي بخلافته عن الله فيها وكل ما في الأرض مسخر لخدمته وإسعاده ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2].

إن الإبداع المادي ضرورة في هذه الحياة، ولكن بشرط أن لا يضر ويناقض خصائص الإنسان ويفسدها أو يقضي عليها ويدمرها.

سيادة الحياة الصناعية لا الإنسانية:

يصف "ألكسيس كاريل" الحياة الصناعية التي هيمنت على الإنسان وسيطرت على الناس فيقول: لقد أهمل تأثير المصنع على الحالة الفسيولوجية والعقلية للعمال إهمالا تاما عند تنظيم الحياة الصناعية التي اتسع نطاقها دون أي تفكير في طبيعة البشر الذين يديرون الآلات، ودون أي اعتبار للتأثيرات التي تحدثها طريقه الحياة الصناعية التي يفرضها المصنع على الأفراد وأحفادهم..".

إن سيطرة الحياة الصناعية وشرهها إلى الإنتاج وإلى المادة خلقت كثيرا من المآسي الاحتكارية والصحية والإجتماعية.. وما ذلك إلا لأنها لم يصحبها قانون أخلاقي أو عرف إنساني أو شعور روحي.

لقد سيطرت الآلة على الحياة وأصبح الكثير من الناس عبيدا لها تتحكم فيها.

---

(١) د. يوسف الواعي ـ المصدر السابق ـ نقلا عن أنور الجندي ـ الإسلام والحضارة.
(٢) البقرة ٢٩.

إن تقدم الفيزياء والكيمياء والميكانيك وعلم النفس وعلم الحياة، لم يقدم البشرية خطوة واحدة نحو الفضيلة، ولم يعصم المجتمع من الرذائل والموبقات والأزمات الخلقية، بل فتح العلم سبيل الشر في مجال التدمير والحرب.. مجال التحلل من موجبات الدين.

الإسلام والحضارة الغربية سفينتان تجريان في جهتين متعاكستين

يقول الأستاذ **المودودي**: فُتِنَ الكثيرون من أبناء المسلمين بالحضارة الغربية، وبهرتهم الآراء المستوردة، والقشرة الزائفة، بكل ما تحويه من انحلال وهدم للقيم الخلقية والروحية، وتحت تأثير هذه الجاذبية البراقة تخلوا عن جذورهم وأصولهم، أولئك الذين استعبدتهم الحضارة الغربية وسلبتهم الثقة بأمتهم، عندما أقبلوا على حضارة الغرب الزائفة، لم يأخذوا منها الجانب النافع الجاد، بقدر ما أخذوا منها الطلاء البراق بما فيه من رذائل ومفاسد، وقد نسى هؤلاء أن الأمة الإسلامية أقامت في ظل الإسلام بمثله وروحه وسماحته، أعظم حضارة عرفها الإنسان في التاريخ، وفي الوقت الذي كانت أوروبا تعيش فيه عصورا مظلمة، كان العالم الإسلامي يعيش عصور نور وازدهار وأنه ليس هنالك من يستطيع القيام بالدور الحضاري المرتقب بعد أن أفلست حضارة الغرب، وبدأ الكثيرون من أبناء الغرب يتجهون نحو الشرق علّه يجد في الإسلام ما يسد فراغه الروحي، ويرده إلى انسانيته الكريمة إلا أمة واحدة هي أمتنا.

"الحضارة الغربية حضارة لا دينية بحته لا مجال فيها لمخافة إله في السماء عليم وقدير، ولا وزن فيه لنبوة أو وحي وإلهام، ولا تصور فيها لحياة أخرى بعد الموت، ولاخوف من المحاسبة على أعمال الحياة الدنيا كما لا وجود فيها لمسئولية ملقاة على الإنسان، ولا إمكان فيها لمقصد أو غاية أجل وأسمى من المقاصد الحيوانية لحياة الإنسان.

أما حضارة الإسلام فتقوم على خشية الله واتباع القصد وحب الصدق و طلب الحق، وطهارة الأخلاق والنزاهة والأمانة والبر والحياء والتقوى والنظافة.

إن النظرية التي تقوم عليها الحضارة الغربية على النقيض من نظرية الإسلام، وطريقها واسع في الجهة المعاكسة لطريق الإسلام. وكل ما يبني عليه الإسلام من أخلاق إنسانية وتمدن، تكاد هذه الحضارة تأتي عليه من القواعد، كما أن الأسس التي ترفع هذه الحضارة عليها قواعد السلوك الفردي والنظام الاجتماعي لا يمكن أن يقوم عليه بنيان الإسلام ولو ساعة من الدهر. فكأن الإسلام والحضارة الغربية سفينتان تجريان في جهتين

متعاكستين، فمن ركب احداهما هجر الأخرى ولابد. ومن أبى إلا أن يركبهما في الوقت الواحد، فانتاه معا، وانشق بينهما نصفين"[1]

الدور الحضاري المرتقب

يرى كتاب الغرب أن غلبة الجانب المادي في الحضارة الغربية على الجانب الروحي هو مصدر أزمة الحضارة والإنسان في هذا العصر، وأن الحضارة الغربية مشرفة على عهد انحطاط وتدهور وأنها تعاني أعراض الشيخوخة وانحلال الفناء، والتي هي أشبه بعملاق يترنح بفعل الخمر والمرض والانحلال

يقول أرنولد توينبي:[2]

إن الحضارة الغربية المتدهورة لا يمكن إنقاذها إلا بالدين، ذلك أنها مصابة بالخواء الروحي الذي يحول الإنسان إلى قزم يفتقد عناصر وجوده الإنساني، ويعيش الحد الأدنى من حياته، وهو وجوده المادي فحسب، مما حول حياته إلى جحيم مشوب بالقلق والحيرة الذهنية والتمزق النفسي، وحول المجتمع إلى قطيع يركض بلا هدف كماتركض القطعان دونما تفحص.

إن الحضارة الغربية تعاني اليوم أخطر الأزمات، فهي حضارة علمانية لاحقة بالمسيحية، تعيش على بقايا مختلفة من المبادئ المسيحية المشوهة.

ويقول الدكتور مصطفى السباعي[3]: إن الحضارة الغربية تمثل أرقى ما وصل إليه الإنسان من حياة مادية، وليس هذا وحده الذي يسعد الناس، بل لا بد من حضارة جديدة تتابع هذا الرقي المادي وتستمر فيه، وتأخذ بالناس إلى حياة روحية راقية بجانب ذلك الرقي المادي، بحيث تحفظ التوازن دائما بين الحياتين المادية والروحية، ولا تسمح بطغيان إحداهما على الأخرى.

ويتساءل السباعي رحمه الله: هل يمكن أن توجد هذه الحضارة؟ وهل هنالك أمة تستطيع القيام بهذا الدور؟

---

(١) أبو الأعلى المودودي - نحن والحضارة الغربية - دار الفكر بيروت.
(٢) أنور الجندي - إطار إسلامي للفكر المعاصر - المكتب الإسلامي ص ١٦٨
(٣) مصطفى السباعي - من روائع حضارتنا ص١٧

إن العالم الغربي لا يمكن أن يقوم بالدور المرتقب فهو الآن في أوج حضارته وقوته المادية وافتتانه بها، وحين ينهار فسيكون فاقدا كل المؤهلات التي تؤهله لقيادة العالم نحو الأمن المنشود والحياة الكريمة المبتغاه.

كما أن العالم الشرقي ذو الديانات الوثنية الروحية لا يمكن أن يقوم بهذا الدور، لأن الحضارة تقوم على العلم والتفكير الصحيح، والتجرد من الخرافات والأوهام، والوثنية في حد ذاتها نقيض ذلك كله، ولأن الروحانية التي يحتاج إليها العالم في حضارته المرتقبة هي الروحانية الإيجابية البناءة التي تساهم في رقي الإنسان واطراد تقدمه، والروحانية الوثنية روحانية سلبية تفر من الحياة، وتنهزم من أداء الواجب، وتعتبر رقي الإنسان المادي رجسا يجب أن يتطهر منه وتشن الحرب عليه.

ليس هنالك من يستطيع القيام بالدور الحضاري المرتقب إلا أمة واحدة هي أمتنا، ولن يستطيع حمل اللواء لحضارة الغد غيرنا لأننا نحمل عقيدة من أرقى العقائد التي تساهم في بناء الحضارات، وهي عقيدة علم تحترم العقل وتدفعه نحو العلم،وهي عقيدة خلق إنساني، وهي عقيدة تشريع يهدف إلى ليسر،كما أن الأمة الإسلامية قد أثبتت في الماضي قدرتها على بناء مثل هذه الحضارة المرتقبة، وكانت حضارة إنسانية قادت الإنسانية إلى الأمن والهدى والنور.

أدرك علماء الغرب رغم عدائهم للإسلام، أن إصلاح ما أصاب العالم من دخان الحضارات البعيدة عن الإسلام لم يكن إلا في ظل الحضارة الإسلامية.

يقول الدكتور"إيزكو إنسابساتو"(إن الشريعة الإسلامية تفوق في كثير من بحوثها الشرائع الأوربية، بل هي التي تعطي للعالم أرسخ الشرائع ثباتا).

ويقول العلامة (شيرلي) عميد كلية الحقوق بجامعة فينا: إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد صلى الله عليه وسلم إليها إذ رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأوربيين أسعد مانكون، لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنه.

ويقول المؤرخ الإنجليزي"ويلز" في كتابه "ملامح تاريخ الإنسانية":

إن أوربا مدينة للإسلام بالجانب الأكبر من قوانينها الإدارية والتجارية. أما المؤرخ سيدو فيقول: إن قانون نابليون منقول عن كتاب فقهي في مذهب الإمام مالك هو (شرح

الدردير على متن خليل)[1]

تؤكد كل هذه الأقوال على أن الدور الحضاري الإسلامي لا بديل عنه لإعادة الإنسانية إلى مسارها الصحيح، وأنه لا صلاح للبشرية إلا بالتحول نحو الإسلام وحضارته.

يقول الفيلسوف الإنجليزي "برناردشو"[2] لقد دخل في الوقت الحاضر كثير من ابناء قومي من أهل أوربا دين محمد صلى الله عليه وسلم، حتى يمكن أن يقال إن تحول أوربا إلى الإسلام قد بدأ، ولقد بدأت أوربا الآن تعتنق الدين الإسلامي، ولن يمضي القرن الحادي والعشرين حتى تكون أوربا قد بدأت تستعين بالدين الإسلامي في حل مشكلاتها.. إنه لن يمضي مائة عام حتى تكون أوربا ولا سيما انجلترا قد أيقنت بملائمة الإسلام للحضارة الصحيحة.

مبشرات الحضارة القادمة

الأمة الإسلامية هي الأمة الوحيدة التي تملك رسالة خالدة وقرآنا كريما لم يشوه ولن يبدل، وتملك من وسائل التقدم والقيادة ما يجعلها صاحبة الحضارة المرتقبة.

من هذه المبشرات نصوص قرآنية وأحاديث نبوية، توحي بمستقبل هذه الأمة، وظهور نجمها وبزوغ شمسها. ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[3] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا، يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾[4] ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[5]

هذه الآيات تبشر بظهور الإسلام وحضارته، وعلو شأن المسلمين وسيادة دعوتهم، كما تنبئ بمد إسلامي لا شك فيه قادم ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ

(١) د. يوسف الواعي - نقلا عن (معالم الحضارة عبدالله علوان)
(٢) نفس المصدر نقلا عن (الإسلام والثقافة العربية - عبدالفتاح خنيم)
(٣) التوبة ٣٣.
(٤) النور ٥٥.
(٥) البقرة ٢٤٩.

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (١).

وقد وردت أحاديث عن رسول الله ﷺ تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أن المستقبل للإسلام وحضارته.

يقول النبي الخاتم ﷺ "إن الله زوى (أي جمع وضم لي) الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها مازوي لي منها"(٢).

وقوله " ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولاوبر(٣) إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل به الكفر"(٤).

معنى هذا أن الأمة المسلمة ستكون لها حضارة زاهرة تُرجِع الناس إلى أنوار الحضارة الأولى التي كانت مثالا فريدا مازالت في ذاكرة الزمان.

الأمة الإسلامية أمة عالمية تحمل رسالة عالمية في السلوك، وفي الخلق، وفي العدل، وفي العلاقة الربانية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٥).

إن الحضارة الإسلامية يحتاجها العالم اليوم لأنها حديث الفطرة، وناموس الكون، ولغة الحياة التي تنتظرها. لذلك فهي تأخذ طريقها إلى العطاء مرة أخرى.

المسلمون على علاتهم هم أمة المستقبل

أدرك الغرب الصليبي أنه برغم كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف، فإنهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض التي يمكنها منافسته ومزاحمته في قيادة العالم، لأن دينها يدعوها إلى مراقبة العالم ومحاسبته على أخلاقه وأعماله ونزعاته، وقيادته إلى الفضيلة والتقوى، وإلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وأن دينها يحرم عليها أن

(١) الصف ٨.
(٢) رواه مسلم
(٣) الوبر هو الصوف وهو رمز البداوة ودلالة على ساكني الصحراء، المدر هو الطين الذي تبنى به مساكن الحضر في المدن والقرى وهو رمز للحضارة.
(٤) رواه ابن ماجة والحديث صحيح.
(٥) البقرة ١٤٣.

تتحول إلى أمة جاهلية.

أدرك أعداء الأمة أنه برغم أن المسلمون قد اتخذوا في أيامهم هذه القرآن مهجورا، وأنهم فُتنوا بالمال كغيرهم فإن شراسة الحياة والطموح كامنه فيهم طالما فيهم رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع، وتسيل دموعهم على خدودهم.

أدرك الأعداء أن الإسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل، لأنه دين الشرف والكرامة، ودين الأمانة والعفاف، ودين المروءة والبطولة، ودين الكفاح والجهاد، يمحو كل أثر من آثار استعباد الإنسان، لا يفرق بين مالك ومملوك، ولا يؤثر سلطانا على صعلوك، يزكي المال من كل دنس ورجس ويجعله نقيا صافيا، ويجعل أصحاب الثروة والملاك مستخلفين في أموالهم ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[1].

لذلك كان حرصهم كبيرا أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس، لتشب الأجيال ضعيفة الثقة بربها قليلة الإيمان بدينها.

كيف يعود للإسلام مكانته؟

ما من شك في أن السواد الأعظم من المسلمين لا يزال إلى هذا اليوم يعتقد بصدق دعوة الإسلام، ويريد أن يبقى مسلما، ولكن كثيرا من العقول الناشئة لا تزال تتأثر بالفكر الغربي والحضارة الغربية، وتنحرف عن جادة الإسلام إنحرافا هو إلى الزيادة والانتشار كل يوم. وإن سيطرة الغرب الفكرية وتمكنه العلمي بصرف النظر عن غلبته واستيلائه السياسي قد غمر الجو الفكري العالمي وغير من وجهات نظر الأبصار بحيث أصبح لا يتأتى لأولى النظر أن ينظروا بعين المسلم ولا لأولى الفكر أن يفكروا بأسلوب الفكر الإسلامي.

وهذا الوضع الحرج لن يخرج عنه المسلمون ما لم ينبغ فيهم عباقرة من أهل العلم والفكر، لأن أبناء الإسلام اليوم في حاجة إلى نهضة جديدة، وأن انتاج المفكرين من أسلافنا القدامى لم يعد ذا غناء وكفاية.

إن الزعامة في ميدان العلم والعمل اليوم لا ريب مكفولة لمن يتقدم بالدنيا إلى

(١) الحديد ٧.

الأمام لا لمن يجذبها إلى الوراء، فإذا كنا نريد أن يعود للإسلام مكانته من سيادة للعالم، فلا سبيل إليه إلا أن ينبغ في المسلمين رجال من أصحاب الفكر والعلم، يهدمون بفكرهم ونظرهم وبحثهم واكتشافهم تلك الأسس التي قامت عليها صرح الحضارة الغربية، ثم يمارسون مشاهدة الآثار والفحص عن الحقائق على هدى الأسلوب القرآني للفكر والنظر، ويبنون بذلك نظاما للفلسفة جديدا منتزعا من الفكر الإسلامي الخالص، ويرفعون قواعد علوم طبيعية جديدة تنهض عمارتها على الخطوط المرسومة في القرآن الكريم، ويبطلون النظرية الإلحادية إبطالا، ويؤسسون الفكر والتحقيق على النظرية الإلهية، ثم يتقدمون بهذه الحركة بقوة وعزيمة تضمنان السيطرة على جميع العالم.

وقتئذ تقوم في الدنيا حضارة الإسلام الحقة مكان حضارة الغرب المادية.

يقول المؤرخ **أرنولد توينبي**:[1]

"صحيح أن الوحدة الإسلامية نائمة، ولكن يجب أن نضع في حسباننا أن النائم قد يستيقظ إذا ثارت البروليتاريا العالمية ضد السيطرة الغربية، ونادت بزعامة معادية للغرب، فقد يكون لهذا النداء نتائج نفسانية لا حصر لها في إيقاظ الروح النضالية للإسلام، حتى ولو أنها نامت نومة أهل الكهف، إذا يمكن لهذا النداء أن يوقظ أصداء التاريخ البطولي للإسلام.

"وهناك مناسبتان تاريخيتان كان الإسلام فيهما رمز سمو المجتمع الشرقي في انتصاره على الدخيل الغربي.

- ففي عهد الخلفاء الراشدين، بعد الرسول ﷺ حرر الإسلام سوريا ومصر من السيطرة اليونانية التي أثقلت كاهلهما مدة ألف عام تقريبا.
- وفي عهد نور الدين وصلاح الدين والمماليك احتفظ الإسلام بقلعته أمام هجمات الصليبيين والمغول.

"فإذا سبب الوضع الدولي الآن حربا عنصرية فيمكن للإسلام أن يتحرك ليلعب دوره التاريخي مرة أخرى.. وأرجوا ألا يتحقق ذلك!".

---

(١) أنظر محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة ص ٦٥١، ص ٦٥٢ - دار الشروق - الطبعة الرابعة.

وسيتحرك الإسلام إن شاء الله على أساس من الصراع الصحيح بين الحق والباطل الذي قال فيه الله عز وجل:

﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللـهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللـهِ كَثِيرًا، وَلَيَنصُرَنَّ اللـهُ مَن يَنصُرُهُ، إِنَّ اللـهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُواْ الصَّلاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ وَأَمَرُواْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ الْمُنكَرِ، وَللـهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾[1].

يقول الفيلسوف الإنجليزي المعاصر "براتراند رسل"[2]: "لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض.. وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونا من قوانين الطبيعه، واعتقد أن الرجل الأبيض لن يلقى أياما رضية كتلك التي لقيها خلال أربعة قرون".

ويقول "فون فوستر دالاس" وزير خارجية أمريكا السابق في كتاب "حرب أم سلام": "إن هناك شيئا ما يسير بشكل خاطئ في أمتنا، وإلا لما أصبحنا في هذا الحرج، وفي هذه النفسية.. إن الأمر لا يتعلق بالماديات، فلدينا أعظم إنتاج عالمي في الاشياء المادية، إن ما ينقصنا هو إيمان صحيح قوي، فبدونه يكون مالدينا قليلا.. وهذا النقص لايعوضه السياسيون مهما بلغت قدراتهم أو الدبلوماسيون مهما كانت فطنتهم. أو العلماء مهما كثرت اختراعاتهم، أوالقنابل مهما بلغت قوتها! فمتى شعر الناس بالحاجة إلى الاعتماد على الأشياء المادية فإن النتائج السيئة تصبح أمرا حتميا..)[3].

في عوامل قيام الحضارة

أورد بعض المؤلفين أثر العوامل الطبيعية من أنهار، وظروف مناخية، وموقع جغرافي دون أن يرجعوها إلى خالق كل شئ الله سبحانه وتعالى، وتناسوا فضل الله المنعم عز وجل، ودور الرسالات السماوية وأنبياء الله ورسله الذين أرسلهم لهداية الناس بدءا من آدم عليه السلام، وما جاءوا به من عقائد وعبادات، وسلوكيات ومعاملات ساعدت على قيام تلك الحضارات.

---

(١) الحج ٤٠-٤١.
(٢) سيد قطب المستقبل لهذا الدين ص٥٥.
(٣) نفس المصدر.

إنه التفسير اليهودي للتاريخ والماركسي الذي أسقط فيه كارل ماركس مقام الألوهية ودور الخالق العظيم رب الناس أجمعين.

الحضارات القديمة في الميزان

تتحدث أوربا العلمانية عن قيام حضارات قديمة شهدتها المجتمعات البشرية عبر تاريخها الطويل، أمثال حضارات بلاد الرافدين ودلمون، وحضارات وادي النيل وبلاد الشام، بالإضافة إلى حضارات فارس والسند واليونان والرومان.

ويرى الباحث أنها ليست بحضارات، وإنما هي مظهر من مظاهر البناء، لأن الحضارة تتسم بالصفة الإنسانية التي تنظر إلى الناس جميعا نظرة مساواة وأخوة، وإذا زالت هذه الصفة عنها فإنها تصبح تسلط وإرهاب، ويصبح البناء الذي يعدّونه حضارة ما هو إلا بناء شيدته أيد على جماجم إخوتها، ورفعته على جثث آلاف البشرية، أرغموا على العمل به، وأكرهوا على الكد حتى لقوا حتفهم، والسوط على أظهرهم.

الحضارة الفرعونية

قسم الفراعنة المجتمع المصري إلى أربع فئات:

- **الفئة الأولى:** الفرعون والبيت الفرعوني، وهم طبقة الآلهة، والتي يدين الشعب لهم، وتتوجه الأمة عليهم، لايسألون بل يسألون، ولا يعبدون بل يعبدون. ونقرأ هذا في قوله تعالى﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي، أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾[2]، ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ﴾[3].
- **الفئة الثانية:** هي فئة الوزراء وكبار الكهنة والقادة، ويعتمدون على ما يمنحهم إياه الفرعون من هبات، وعلى محاصيل أراضيهم، وكانوا أغنياء يعيشون في القصور،

(١) الزخرف ٥١.
(٢) القصص ٣٨.
(٣) الأعراف ١٢٧.

ويمضون أوقاتهم في تفقد أملاكهم وفي النزهات وتنظيم حفلات الرقص والموسيقى.

- **الفئة الثالثة:** وهم أهل البلاد من المصريين، ولهم الصدارة والريادة، وهم الجنس المفضل على غيرهم من البشر.
- **الفئة الرابعة:** من غير المصريين من العبرانيين وغيرهم، وهذه طبقة ممتهنة مستذلة، ليس لحياتها قيمة ولا لإنسانيتها شرف أو احترام، يعملون بالسخرة في بناء المعابد والقصور، والمدافن وشق القنوات وغيرها. قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾[1].

لقد علا فرعون في الأرض وادعى الربوبية، ونصب نفسه إلها على الناس، وقسم الشعب إلى شيع وأقسام، قسم يرضى عنه، وقسم يستبيحه ويفعل به ما يشاء، يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم.

أجبر الفراعنة الأوائل الشعب على بناء الأهرامات لهم، فخلدوا بذلك ذكرهم، وسجلوا طغيانهم، ولا تزال هذه الأهرامات شاهدة على الظلم آنذاك. والبناء يلعن من أشاده على ظهور أبناء الشعب وجماجم الرجال لأنه بناء أقيم على الظلم.

إن المجتمع الذي يسوده الظلم والاستبداد وقهر الإنسان وإذلاله لا يسمى مجتمعا متحضرا لأن السعادة والطمأنينة لا تسودانه مهما كان فيه من تقدم وعمران ومهما بقيت آثاره وطال بقاؤها.

الحضارة اليونانية

نظرت المدرسة الأفلاطونية إلى الإنسان من زاوية عنصرية كريهة، فقسمت البشر إلى صنفين: اليونان العاقلين والبرابرة المتوحشين، كما ذهبت إلى أن الطبيعة قد وهبت اليونانيين عقلا ممتازا، أما غيرهم فهم مجردون من العقول والأفهام. وعليهم خدمة هذا الصنف الممتاز. ثم أوصت باستعمال الشدة مع هذه الأصناف من الخدم والعبيد.

---

(١) القصص ٤.

يقول **أرسطو** تلميذ أفلاطون: إن الله خلق فصيلتين من الناس. فصيلة زودها بالعقل والإرادة، وهي فصيلة اليونان، وقد فطرها على هذا التكوين الكامل لتكون خليفة له في أرضه وسيدة على سائر خلقه، وفصيلة لم يزودها إلا بقوى الجسم وما يتصل اتصالا مباشرا بالجسم، وهؤلاء هم البرابرة (أي ماعدا اليونان) من بني آدم، وقد فطرهم الله على هذا التقويم الناقص، ليكونا عبيدا مسخرين للفصيلة المختارة المصطفاه.. فمن واجب اليونان أن يعملوا بمختلف الوسائل على أن يردوا هؤلاء إلى المنزلة التي خلقوا لها، وهي منزلة الرق. وكل حرب يشنها اليونان لتحقيق هذه الغاية حرب مشروعة تنبعث من طبائع الأشياء، ولا تستقيم الحياة الإجتماعية وشئون العمل في نظر أرسطو إلا باسترقاق هؤلاء البرابرة فبفضل هذا الاسترقاق يتحقق توزيع الأعمال على الوجه الذي يتفق مع طبائع الأشياء.(١)

كان نظام أرسطوطاليس الأخلاقي مبنيا على التمييز بين اليوناني وغير اليوناني، اليونانيين ينبغي لهم أن يُعاملوا الأجانب بما يُعاملون البهائم.

ويقول أبوالحسن علي الحسن الهندي الندري:

"لقد أثرت شدة الاعتداد بالحياة الدنيا والمبالغة في قيمتها، وكذلك الولوع بالتماثيل والصور والغناء والموسيقى، والحرية الشخصية التي لا تعرف قيدا ولا تقف عند حد تأثيرا سيئا في أخلاق اليونان، فانتشرت الفوضى في الأخلاق، واصبح شعار الرجل هو الجري وراء الشهوات العاجة، وانتهاب المسرات والتهام الحياة التهام الجائع النهم".

يصف **سقراط** كما ينقل عنه أفلاطون في كتاب "المملكة" الرجل الجمهوري:

" إذا قيل له: إن بعض المسرات من الرغبات التي هي طيبة وتستحق الإحترام، وبعضها من الشهوات التي هي قبيحة، وإن الأولى ينبغي أن يعمل بمقتضاها وتحترم، والأخرى مما ينبغي أن يمنع عنها ويقام عليه الحجر، لم يقبل هذا الرجل هذا القانون الصحيح ولا يسمح بسماعه، فإذا عرضت عليه هذه الحقائق أنغض إليك رأسه مستهزئا وأكد أن جميع الشهوات سواء وتستحق الاحترام بغير فرق بينها...".

---

(١) أنظر إلى قصة الملكية في العالم ص ٧٢، والمجتمع الإسلامي ص ٧١ د.على عبدالواحد وافي.

"كان حب الوطن والفكرة الوطنية هي الفكرة السائدة، والتي تتقدم فضائل الأخلاق وهي الفكرة الرائجة في كل الأوساط اليونانية"[1]

الحضارة الرومانية[2]

خلف اليونان الروم وفاقوهم في القوة والتنظيم، وانتقلت الفلسفة اليونانية والثقافة اليونانية، إلى الروم وجرت منهم مجرى الروح والدم، لم يختلفوا عنهم في إيمانهم بالمحسوس وغلوهم في تقدير الحياة، وشكهم في الدين واستخفافهم بالنظام الديني وطقوسه، والتزامهم بالقومية وتعصبهم لها، وحبهم المفرط للوطن،زد إلى ذلك اعتدادهم بالقوة واحترامهم الزائد لها الذي يبلغ حد العبادة والتقديس.

يقول ليكي Lecky في كتابه تاريخ أخلاق أوربا History of European moracls ص ١٧٨"لم يكن للدين تأثير في أخلاق الأمة وسياستها ومجتمعها، ولم يكن يملك عليه شعورهم ميولهم ويراقب عليهم أخلاقهم ونزعاتهم.. إن الدين الرومي كان أساسه على الأثرة، ولم يكن يرمي إلا إلى رفاهية الأفراد وسلامتهم من المصائب والمتاعب، ولا تسمع مثالا للتضحية والإيثار إلا وتجده لا تأثير فيه للدين، ولكن مبنيا على الوطنية".

ويقول العالم الألماني المسلم محمد أسد في كتابه "الإسلام على مفترق الطرق Islam at cross Road": "إن الفكرة التي كانت تسيطر على الامبراطورية الرومانية هي احتكار القوة لها واستغلال الأمم الأخرى لمصلحة الوطن الرومي فقط، لم يكن رجالها والقائمون عليها يتحاشون من أي ظلم وقسوة في سبيل حصول خفض العيش لطبقة ممتازة، أما ما اشتهر من عدل الروم فلم يكن إلا للروم فقط.

إن هذه السيطرة لا يمكن أن تقوم إلا على إدراك مادي محض للحياة والحضارة، وإن كانت ماديتهم قد هذبت بذوق عقلي ولكنها بعيدة عن جميع القيم الروحية، إن الروم لم يدينوا بالدين جديا أبدا، كانت آلهتهم مشابهه لأساطير الإغريق وخرافاتهم".

ويصور "داريز الأمريكي" سيل الانحطاط الخلقي في الحضارة الرومانية فيقول

---

(١) أبو الحسن الندوي - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص١٧٨ - دار السلام للطباعة والنشر.
(٢) المصدر السابق.

لما بلغت الدولة الرومانية في القوة الحربية والنفوذ السياسي أوجها، ووصلت في الحضارة إلى أقصى الدرجات، هبطت في فساد الأخلاق ومع الانحطاط في الدين والتهذيب إلى أسفل الدركات بطر الرومان معيشتهم وأخلدوا إلى الأرض واستهتروا استهتارا، وكن مبدؤهم أن الحياة إنما هي فرصة للتمتع، ينتقل فيها الإنسان من نعيم إلى ترف ومن لهو إلى لذه، ولم يكن زهدهم وصومهم في بعض الأحيان إلا ليبعث على شهوة الطعام، كانت موائدهم تزهوا بأواني الذهب والفضة مرصعة بالجواهر، ويحتف بها خدام في ملابس جميلة خلابة، وغادات رومية حسان، وغواني عاريات كاسيات غير متعففات، ويزيد في نعيمهم حمامات باذخة وميادين للهو واسعة ومصارع يتصارع فيها الأبطال مع الأبطال أو مع السباع، ولا يزالون يصارعون حتى يخر الواحد منهم صريعا يتشحط في دمه، وقد أدرك هؤلاء الفاتحون الذين دوخوا العالم أنه إن كان هنالك شئ يستحق العبادة فهو القوة، لأنه بها يقدر الإنسان أن ينال الثروة التي يجمعها أصحابها بعرق الجبين وكد اليمين.

وإذا غلب الإنسان في ساحة القتال بقوة ساعدة فحينئذ يمكن له أن يصادر الأموال والأملاك.. كان نظام روما يشف عن أبهة الملك ولكنه كان طلاء خادعا"[1].

الحضارة الهندية

كان نظام الطبقات في الحضارة الهندية شديد الضراوة، بالغ القسوة، يستهين بشرف الإنسان، ويمتهن آدميته، وكانت تحميه السلطة الدينية والمدنية، قانونا رسميا ومرجعيا دينيا في حياة البلاد ومدنيتها. يقسم هذا القانون البلاد إلى أربع طبقات:

الطبقة الأولى الممتازة وهي طبقة الكهنة ورجال الدين، والطبقة الثانية طبقة رجال الحرب، والطبقة الثالثة طبقة رجال الزراعة والتجارة، أما الرابعة فهي طبقة رجال الخدمة.

يقول (مينو)مؤلف هذا القانون "إن القادر المطلق قد خلق لمصلحة العالم البراهمة من فمه، و(شتري)وهم رجال الحرب من ساعده، (وويش) وهم رجال الزراعة والتجاره

(١) London 1927 - History of the conflict between Religion and Science

من أفخاذه،(ولشودر) من أرجله" "إن البراهمة هم صفوة الله وهم ملوك وإن ما في العالم ملك لهم، فإنهم أفضل الخلائق وسادة الأرض، ولهم أن يأخذوا من مال عبيدهم شودر من غير جريرة ماشاءوا لأن العبد لا يملك شيئا وكل ماله لسيده..." "إن من سعادة شودر أن يقوموا بخدمة البراهمة وليس لهم أجر وثواب بغير ذلك، وليس لهم أن يقتنوا مالا أو يدخروا كنزا فإن ذلك يؤذي البراهمة.

وإذا مد أحد من المنبوذين إلى برهمي يدا أو عصا ليبطش به قطعت يده.. وإذا رفسه في غضب قطعت رجله، وإذا هم أحد من المنبوذين أن يجالس برهميا فعلى الملك أن يكوى استه وينفيه من البلاد، أما إذا مسه بيد أو سبه فيقتلع لسانه، وإذا ادعى أنه يعلمه سقى زيتا فائرًا، وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدع والغراب والبومة ورجل من الطبقة المنبوذة سواء".

إحياء الحضارات القديمة مؤامرة صهيونية صليبية

دراسة الحضارات القديمة من منطلق الآية القرآنية الكريمة ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[1] وكتاريخ مضى، يحسن بنا الإطلاع عليه والاستفادة منه، أمر لا بأس منه.. ولكن ليس من الإنصاف، ولا من الحكمة أن تملأ صفحات الكتب الدراسية لطلابنا بأخبار هذه الحضارات البائدة، وفي الوقت الذي يجهلون فيه عن حضارتنا الإسلامية العظيمة الكثير.

كان ولا يزال من المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام الدعوة إلى إحياء الحضارات القديمة، وهي سابقة لحضارة الإسلام العظيمة، وقد ظهرت هذه الدعوة بتوجيه من الأوربيين والأمريكيين في مصر والشام والعراق وشمال أفريقيا وتركيا في وقت واحد أيضا في فارس والهند وأندونيسيا.

فتحوا نوافذ على الحضارات القديمة التي سادت وبادت لشغل الأجيال بأخبارها وأمجادها عن الحضارة الإسلامية التي ملأت الدنيا نورًا وعلمًا وهدى ورشادًا وفلسفة وحكمة وأدبا.

أحيوا الحضارات الفرعونية، والآشورية، والبابلية، والفينيقية، والهندية وغيرها

(١) النمل ٦٩.

وأخذوا يشيدون بها ويحبرون فيها المقالات، ويؤلفون لها المجلدات، ويقيمون لذكراها الإحتفالات ويذكرون أمجادها، ورجالها وأبطالها وقادتها.

وغابت عنا هذه المخططات الماكرة واحيينا هذه الحضارات البائدة، وأقمنا لها المتاحف وأصدرنا لها المجلات، وألفنا فيها المجلدات، ووضع الكُتّاب الكتب لأبناء المسلمين فجهلوا حضارتهم الإسلامية وأمجاد تاريخهم الناصع، وعرفوا عن حمورابي وخوفو وأضرابهم من طغاة الزمان ورؤوس الكفر والضلال أكثر مما عرفوا عن أئمة المسلمين وعلمائهم، وأعلامهم.

الدعوة إلى الفرعونية

لأرض الكنانة مصر مكان مرموق في قلوب العرب والمسلمين، وقد سبقت في ميادين العلم و لأدب، ونبغ فيها رجال أفذاذ كانوا أساتذة الكثير من أدباء العرب اليوم والدعوة فيها، أية دعوة، تؤثر في مصر العزيزة، وتنتشر منها إلى البلاد العربية والإسلامية، بحكم انتشار صحافتها ومطبوعاتها، وإمكانياتها الضخمة، لذا ركزت الصليبية الحاقدة والصهيونية الكافرة جهودها على مصر القطر الإسلامي الكبير لتفسدها وتفسد بها المسلمين في كل مكان.

في أعقاب الفترة التي تلت إلغاء الخلافة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى، قامت الدعوة إلى الفرعونية، من رجال تتلمذوا على الغرب، وتخرجوا على أيديهم، كانوا يعارضون الإسلام والعروبة، وزعموا أن الدين في مصر قد تغير من الوثنية إلى المسيحية، ثم الإسلام، وأن الكتابة واللغة قد تغيرت فيها من الهيروغليفية إلى اللغة العربية، وأن ذلك لم يقطع ما بين مصر الحديثة وبين مصر القديمة من صلات، وكانوا يحتالون لرد حياة مصر المعاصرة في مختلف مظاهرها إلى أصل فرعوني قديم، ويدعون أنه يجب أن تقوم النهضة المصرية على المجد الفرعوني مثلما قامت النهضة الأوربية الحديثة على بعث التراث اليوناني والروماني في عصور الوثنية السابقة على المسيحية.

اتجهوا إلى فرعنة مصر لسلخها من العروبة والإسلام، ولقطع أوصال البلاد العربية والإسلامية، وفصل بعضها عن البعض لآخر بث روح التنافر والتدابر والتقاطع بين أفرادها وجماعاتها.

ذكر الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله في حاشية كتابه "في وكر الهدامين":أن المليونير اليهودي الأمريكي المتستر تحت النصرانية "روكفلر" أوفد عام ١٩٢٦ الأديب الأمريكي "برستد" صاحب كتاب "إنتصار الحضارة" ليعرض على مصر عشرة ملايين من الدولارات لتأسيس معهد للدراسات الفرعونية يعين على سلخ مصر عن عروبتها وإسلامها.(١)

الحكم الشرعي في مخلفات الحضارة القديمة وآثارها

من قواعد التصور والإيمان معرفة القيمة الحقيقية لمخلفات الأمم وآثارها والحكم الشرعي فيها، فالمسلم الذي يستمد تصوره من الكتاب والسنة ويهتدي بهديهما لا بد له وهو يدرس تواريخ الأمم أن يزن آثار هذه الأمم ومخلفاتها التاريخية بالميزان الشرعي، ليعطيها القيمة الحقيقية على ضوء ذلك الميزان العادل، فلا يغالي في تعظيمها وتقديرها، كما يفعله فريق من الناس، ولا يغمطها حقا هو لها.

والآثار المتبقية من الأمم السابقة متنوعة، فمنها ماله فائدة علمية أومادية، مثل الوثائق والنقوش وقطع النقود، والعيون والسدود، فهذه يستفاد منها، وتكون قيمتها الحقيقية بقدر الخدمة التي أدتها أو تؤديها للناس، ولا يجوز تعظيم بناتها أو تقديسهم.

ومنها ما في وجوده وبقائه منافاة لعقيدة التوحيد مثل التماثيل والصور والأصنام وبيوت العبادة لغير الله، والمشاهد التي على القبور والمزارات، فهذا النوع من الآثار يجب تحطيمه وإزالته لأنه يجر إلى الشرك وعبادة غير الله، ومن أصول الإسلام سد كل الذرائع المؤدية إلى المفاسد ولا شئ أفسد من الشرك وصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير الله، وهذا ما عمله رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، حيث حطم الأصنام والطواغيت التي كان يعبدها العرب ويلحق بهذا النوع من المخلفات الثقافية والفكرية الضارة ككتب السحر والإلحاد والتهتك والفجور.

وهناك نوع من المخالفات والآثار لانفع فيها ولا ضرر منه لذاته مثل المباني الخربة وبقايا الأسوار والحصون والبنايات الكبيرة كالأهرامات التي في مصر، وإيوان كسرى في العراق وحدائق بابل المعلقة، فهذا النوع من الآثار يُهمل ولا يُعنى به لمجرد

(١) أنظر محمد محمود الصواف ـ المخططات الإستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٣٥-١٤٢.

أنه أثر من الآثار، لأن في تلك العناية تعظيم لها ولمن خلفوها، وقد أهملها سلفنا الصالح بالفعل ولم يشغلوا أنفسهم بالمحافظة عليها وترميمها، فضلا عن تنظيم الزيارة لها.[1]

المنهج القرآني في دراسة الآثار

أرشدنا القرآن الكريم إلى المنهج الذي نتبعه في دراسة الآثار والوقوف عليها، وَبَيَّنَ لنا الفائدة التي من الممكن أن نستفيدها من الوقوف على آثار السابقين، وعرفنا على القيمة الحقيقية للآثار.

فالعلم بتاريخ الأمم السابقة والتعرف على آثارها لكي يؤتي ثماره لابد أن يقترن بالعبرة والعظة، التي تدفع الدارس والمشاهد والباحث إلى تدبر أحوال نفسه وأسرته ومجتمعه، فلا يدعها أو يدعهم يقترفون ما اقترف غيرهم من الآثام والإعراض عن منهج الله وعبادة ما لم يأذن به الله فيهلكهم الله بعذاب أليم كما أهلك من قبلهم، لأن العلم بأمر الله وشرعه والنظر الصحيح والاعتبار المثمر في أحوال السابقين، وتقلبات الدهر بهم يساعد على تربية الفرد المسلم ليكون لبنة صالحة في بناء المجتمع، أما ما يفعله كثير من الدارسين من الاكتفاء بالوقوف على الأطلال ودراستها دراسة وصفية جافة لا حياة فيها، كقولهم إنهم كانوا يستعملون من أدوات المطبخ كذا وكذا وطريقتهم في الأفراح كيت وكيت، وأنهم كانوا يحرثون بالمحراث الذي نحرث به.. وحصر الإهتمام بالمظاهر الشكلية من قياس الطول والعرض والحجم والمادة المستعملة.. إلى غير ذلك.

إن هذه الدراسة الأكاديمية الجافة لا توقظ في القلب شعورا، ولا تفتح فيه حياة ولا تثير البصائر لتتأمل وتتفكر وتستفيد وتتعرف سنن الله وآياته في الأنفس والآفاق، كما أنها لا تتمشى مع المنهج القرآني في عرضه آثار السابقين وطلبه منا أن نسير في الأرض وننظر في سيرنا نظر المستبصر المستفيد، الباحث عن أسباب الدمار الذي حل بأصحاب تلك الآثار ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] وقال تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِشَتَهَا، فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[3]، فالله تعالى يطلب منا أن يكون سيرنا في الأرض وبحثنا عن الآثار

(١) محمد صامل السلمي ـ منهج كتابة التاريخ الإسلامي وتدريسه ـ الوفاء للطباعة والنشر ص ١ سنة ١٩٨٨
(٢) النمل ٦٩.
(٣) القصص ٥٨.

ودراستها بغرض إيقاظ القلوب والبصائر وبعث الحياة فيها، ومناجاة هذه الآثار والأطلال الباقية وسماع أخبارها سماع العظة والعبرة، ومشاهدة آيات الله وقدرته وعقابه للمجرمين وإنجائه للصالحين، والتعرف على القيم الحقيقية التي تطيب بها الحياة وتعمر، وتكون سببا للفوز والنجاة عند الله.

قال تعالى ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا، فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[1].

هذا التأمل في آثار السابقين ينتج عنه اتعاظ يتحول إلى سلوك ونهج عملي في واقع ملتزم بأمر الله ونهيه، وقد جعل الله ذلك هداية للمستبصرين فقال:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ، أَفَلا يَسْمَعُونَ﴾ [2].

كما أنه جعل هذا التأمل والنظر في آثار السابقين في مقام الواعظ البليغ وجعله حجة على الغافلين حين ينزل بهم عذابه فقال تعالى ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ، أَوَ لَمْ تَكُونُواْ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۞ وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ ۞ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۞ فَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ، إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[3].

النهج القرآني وعرض أخبار الحضارات القديمة:

يلفت القرآن الكريم أنظارنا للإتعاظ والعبرة بالشاهد الباقي من مخلفات أصحاب الحضارات السابقة وآثارهم، فيصف الله تعالى بعض ما وصلت إليه الحضارات القديمة من التقدم العمراني ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ،

(١) الحج ٤٥-٤٦.
(٢) السجدة ٢٦.
(٣) إبراهيم ٤٤-٤٧.

كَانُواْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾[1]، ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا، فَاذْكُرُواْ آلاءَ اللّهِ وَلا تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[2].

وقال عن قوم فرعون

﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۞ وَنَعْمَةٍ كَانُواْ فِيهَا فَاكِهِينَ ۞ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۞ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾[3]

ذلك أنهم لما لم يستقيموا على الصراط المستقيم، ولم يصدقوا رسلهم الذين بعثوا إليهم أهلكهم الله، ودمرهم وأورث أرض بعضهم قوما آخرين، وبقيت بعضها خاوية خربة ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلاَّ قَلِيلاً، وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾[4] تحكي تلك الآثار واقعهم الحضاري وتقدمهم العمراني.

ولكن ذلك لما كان غير مصحوب بالإيمان بالله واتباع رسله فإنه لم ينفعهم، قال تعالى في أهمية التفكر والتدبر في آثار الغابرين ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِي النُّهَى﴾[5]، وقال ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[6]، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً، وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾[7].

وقال عن قوم لوط ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۞ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[8].

ولما مر رسول الله ﷺ بديار ثمود مدائن صالح وهو في طريقه إلى تبوك، قال

(١) الروم ٩.
(٢) الأعراف ٧٤.
(٣) الدخان ٢٥-٢٩.
(٤) القصص ٥٨.
(٥) طه ١٢٨.
(٦) العنكبوت ٣٥.
(٧) الشعراء ٦٧،١٠٣،١٢١،١٣٩.
(٨) الحجر ٧٣-٧٧.

لأصحابه "لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين" وفي رواية "لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم حتى لا يصيبكم ما أصابهم، ثم قرن الرسول ﷺ القول بالفعل" فقنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي" وكان بعض القوم قد استقوا من البئر، عجنوا العجين فأمرهم أن يكفأوا الماء وأن يعلفو العجين الإبل وقال استقوا من البئر التي كانت ترد عليها الناقة.

أمر الرسول ﷺ أن لا نمر على مساكن الظالمين وآثارهم، وأن لاندخلها إلا باكين ومتعظين ومستبصرين وخائفين من أن يصيبنا ما أصابهم، لا أن نكون منبهرين ومعظمين لهؤلاء الظالمين، أو لاهين وغافلين.

يقول الأستاذ البهي الخولي تعليقا على هذا الحديث:

إن الأثر العجيب إذا كان لظالم وأعجب به الإنسان فقد أعجب بالظلم من حيث لا يدري، وأدخل على قبله الفساد والجمود وهو لا يشعر، وما الإنسان إلا قلبه الحي وضميره المعتبر الذكي، فإذا فقده هان شأنه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا، فانظر إلى حرص رسول الله على حياتنا ويقظة بواطننا"[1].

مفاهيم ينبغي أن تصحح

اختلط على كثير من مؤلفي كتب التاريخ المدرسية الكثير من المفاهيم في تناولهم لجوانب الحضارات.

مفهوم الدين

الدين عند الله الإسلام، والإسلام لا ينتسب إلى شخص بعينه، ولا أمة بعينها دون سائر الأمم، لا يختص بأمة دون أمة، ولا بقطر دون قطر، ولا بزمن دون زمن، هو دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها، يدين به كل من عرف الله واتبع قانونه، وسلك صراطه المستقيم.

والمسلم لا يعيش دنياه ذليلا مهانا مغلوبا على أمره، بل يعيش حياته عزيز الجانب

(١) أنظر المرجع السابق م ص ١٧٧-١٨٢.

رفيع الرأس، لا تغلبه قوة من قوى الدنيا.

والإسلام هو دين كل الأنبياء والمرسلين، قال تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[1]، وعلى لسان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾[2]، وفي وصية يعقوب لأولاده ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[3]، وعن موسى عليه السلام﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾[4]، وعن يوسف عليه السلام ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[5]، وعن ملكة سبأ بعد أن آمنت ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[6].

مفهوم الألوهية ـ العبودية ـ الربوبية

الألوهية تعني أن لا معبود ولا محبوب، ولا مستجار به، ولا مطمأن إليه إلا الله وحده لا شريك له.

والعبودية تعنى الطاعة مع الخضوع التام لله عز وجل، هو مصدر الأمر والنهي، وهو ذو الجلال والإكرام.

والربوبية تعني أن لله عز وجل السلطان والسيادة، هو رب الخلق والناس، وهو مالك كل شئ ومليكه، هو الذي خلق وأصلح.

لقد انحرف أجدادنا في بعض الفترات عن خط التوحيد، وأشركوا بالله، وابتعدوا عن الإسلام دين كل المرسلين والنبيين من لدن آدم حتى محمد صلوات الله وسلامه عليه.[7]

الهدف التربوي من الإقرار بوحدانية الله تعالى

ينشئ الإقرار بوحدانية الله تعالى في حياة الإنسان الأنفة وعزة النفس، فالله عز

(١) يونس ٧٢.
(٢) البقرة ١٢٨.
(٣) البقرة ١٣٢.
(٤) يونس ٨٤.
(٥) يوسف:١٠١
(٦) النمل ٤٤.
(٧) أنظر أبو الأعلى المودودي ـ مبادئ الإسلام ـ دار القرآن الكريم، سعيد حوى ـ الإسلام.

وجل هو الواحد وهو المالك لكل قوى الكون، وهو الضار والنافع، وهو المحيي والمميت وهو صاحب الحكم والسيطرة والسيادة.

عندما يدرك الإنسان ذلك جيدا، ينتزع من قلبه خوف سواه سبحانه وتعالى، فلا يطأطئ رأسه أمام أحد من الخلق، ولا يتضرع إليه، ولا يتكفف له، ولا يرتعب من كبريائه وعظمته، ويحرر نفسه من المعتقدات الفاسدة التي وقع فيها أجدادنا وغيرهم مثل الإعتقاد في السحر والقوى الخفية، وتقديس الحيوان والطير، وعناصر الكون كالماء والهواء، والأرض والسماء، وغيرها من مظاهر الطبيعة.

والمقر بوحدانية الله، لا يتسرب إليه اليأس أو القنوط، ويملأ الإيمان قلبه بالطمأنينة والسكينة، ويمده بالكثير من العزم والإقدام، والصبر والثبات والتوكل على الله عز وجل، كما نجده متقيدا بقانون الله، ومحافظا عليه، ومتبعا لأحكامه، يسارع إلى الخيرات،والعمل لما أمر الله به، ولا يجرؤ على اقتراف الذنوب والمعاصي، وكل ما حرم الله.

دور المعلم المسلم[1]

اليهود يزعمون بأنهم أول من قالوا بعقيدة التوحيد

يزعم اليهود بأنهم أول من قالوا بعقيدة التوحيد، وأنهم هم الذين قدموها للعالم وللبشرية وأن الفضل يرجع إليهم في وضع أسس الديانة التي يدين بها الموسويون والمسيحيون والمسلمون.

وهذا الإدعاء لا يستند إلى أي أساس أو واقع تاريخي.

هل كان نوح عليه السلام ومن قبله من أنبياء الله ورسله يهود؟ وهل كان الأنبياء الذين ظهروا من بعده يهود؟ وهل كان إبراهيم الخليل يهوديا؟.. كلهم نادوا بعقيدة التوحيد

---

(١) يؤكد المعلم لطلابه على معنى التوحيد ويشير إلى معنى الألوهية، وآثار ومقتضيات "لاإله إلا الله"[1] وأن الدين هو الدين لا يتبدل ولا يتطور، ارتضاه الله تعالى لآدم وبنيه إلى يوم القيامة،وأن آدم عليه السلام أول من وحد الله وعبده، وأخضع حياته لنظامه وشرعه، وأن الإسلام ليس دينا من أديان يختار الإنسان من بينها، ولكنه هو الدين الواحد الذي يرضاه الله تعالى من الناس﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ يقول الأستاذ أبو الأعلى المودودي "من سوء الفهم الذي نرى عامة الناس وكثيرا من أهل العلم منهم متورطين فيه، أن يرون أن الإسلام كان بدؤه من نبوة محمد ﷺ وهذا خطأ فاحش ينبغي أن يكون ذهن الطالب سالما منه كل السلامة، وليعلم كل طالب أن الإسلام هو الدين الحقيقي للوحيد للنوع البشري منذ أول أمره، وكل رسول من رسل الله في أي زمان ومكان إنما جاء بهذا الدين".

قبل أن يكون هناك يهود في العالم.

إن حشر هؤلاء الأنبياء مع الشعب اليهودي في زمن لم يكن لليهود وجود فيه لا يتفق والمنطق بل هو تشويه للتاريخ والحقائق.. إن هؤلاء كلهم كانوا أنبياء نادوا بعقيدة التوحيد الخالصة، عقيدة الإله الواحد لجميع الأمم والمخلوقات، قبل ظهور اليهود، لقد ظهر بعض الأنبياء في الجزيرة وظهر البعض الآخر في العراق ومنهم نوح وإبراهيم الخليل عليهما السلام، وهؤلاء عاشوا بين الألف الثالثة قبل الميلاد وأوائل الألف الثانية قبل الميلاد.

هناك من كان يؤمن بالله الواحد خالق السموات والأرض عند الكنعانيين، وهناك ما يدل على أن المديانيين العرب كانوا يمارسون عقيدة التوحيد، فقد سكن موسى عليه السلام وتزوج من ابنه رجل كان موحدا يعبد الله، وسمع موسى عليه السلام لوصاياه.[1]

"اخناتون" فرعون مصر لم يكن أول من نادى بالوحدانية

يدعي البعض أن دعوة اخناتون فرعون مصر (امنحوتب الرابع) لعبادة الإله الواحد هي الدعوة الأولى في تاريخ البشرية " وأن الحضارة البشرية لم تعرف هذه النزعة الروحية العالمية قبل أخناتون، فإنه هو أول أبناء الجنس البشري إدراكا لوحدانية الله وشموليته... إن أخناتون لم يكن فردا عاديا دفعته أحاسيسه النبيلة لإنقاذ مجتمعه من أوزاره، وتخليص مواطنية من الجهالة التي يكابدونها، بل كان ملكا آثر التضحية بملذات الحياة وبأبهة الملك في سبيل مبدأ اعتقد فيه خلاص الإنسانية من الشرك، وفك أسار الضمير البشري من سلطان طبقة من رجال الدين الفاسدين الوصوليين.. وتعتبر دعوته أولى حلقات سلسلة تطور العقائد الدينية التي انتهى بظهور الأديان السماوية"[2] "للمرة الأولى في تاريخ الدنيا ظهرت فكرة إله واحد للعالم كله له سلطان امبراطوري، وتلك هي أقدم صورة في التاريخ لفكرة التوحيد"[3]، "لم نر أحد قبل أخناتون عرف الصورة الصحيحة للإله الواحد الرحيم"[4]، "إن عبادة أخناتون كانت الصيحة الأولى المعروفة في

(١) أنظر د. احمد سوسة ـ المرجع السابق.
(٢) محمد فؤاد شبل ـ دور مصر في تكوين الحضارة ج.٢ ص ٥٩ ٦٦.
(٣) جيمس هنري برستد ـ تطور الفكر والدين في مصر القديمة ـ ص ٤٥٧-٤٥٩.
(٤) انتصار لحضارة ـ ترجمة د. أحمد فخري.

تاريخ البشرية التي تقترب من التوحيد الذي جاءت به الكتب السماوية فيما بعد"[1]، "إن دعوة أخناتون كانت دعوة إلى الوحدانية وأن دعوة التوحيد نبتت على أرض مصر وانتقلت إلى بلاد المشرق حيث ظهرت دعوة إبراهيم للوحدانية"[2].

والحقيقة أنه فات على هؤلاء أن أخناتون هذا عاش بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٥٨ ق.م. أي بعد إبراهيم الخليل عليه السلام بحوالي ستة مئة عام، لذلك لا يمكن أن تكون دعوته هذا للوحدانية هي الأولى في تاريخ البشرية، ولا مجال للشك في كون عقيدة التوحيد عقيدة عربية خالصة، وأقدم من دعا إليها أنبياء من أصل عربي[3].

يقول د. جمال عبدالهادي[4]: أخناتون لم يكن موحدا لله رب العالمين والدليل كلمات من تسابيحه ونشيده (تسبيحات وأدعية مختلفة تصور إله الشمس على صورة الخالق) وهذه بعضها: أنت أوحد.. أنت تشرق في هيئة الشمس الحية.. أشعتك تغذي كل الحقول.. أنت تخلق ملايين الكائنات منك وحدك.. أنت تخلق الفصول فتحفظ كل ما خلقت.. أنت صنعت السماء البعيدة لترفع إليها.. أنت تخلق النيل في العالم السفلي وتسيره كما تشاء لإطعام الشعوب.. كم هي طيبة أفكارك يا سيد الأبدية.. إن ظهورك جميل في أفق السماء أيتها الشمس الحية أولى الأحياء.. أنت بعيدة ولكن أشعتك تصل إلى الأرض.[5]

الكلمات تعكس لنا شركا بالله سبحانه وتعالى لأنها تصرف بعض صفات الله إلى قرص الشمس (أتون) وهذا يخالف العقيدة الإسلامية.

يقول د. جمال عبدالهادي: إخناتون من ذرية آدم عليه السلام، وقد سبقه أنبياء ورسل كثيرون بعثهم الله سبحانه وتعالى إلى بني آدم يدعونهم إلى توحيد الله الواحد القهار ﴿وَإِن مِنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾[6].

دعوة أخناتون سبقها دعوات أخرى جاءت بها الرسل عن الله عز وجل تدعو إلى

---

(١) د. أحمد فخري ـ مصر الفرعونية ـ ص ٢٨١ ٢٨٣،٣٩٠،٣٩٦
(٢) د. عبدالحميد زايد ـ الشرق الخالد.
(٣) د. أحمد سوسة ـ العرب واليهود في التاريخ ـ ص ٣٦٠
(٤) د. جمال عبدالهادي وآخرون ـ تاريخ الأمة المسلمة الواحدة منذ أقدم العصور في مصر والعراق.
(٥) د. أحمد سوسة (المرجع السابق نقلا عن ارمان ـ ديانة مصر القديمة)
(٦) فاطر ٢٤.

توحيد الله الواحد القهار وإفراده بالعبادة ومنها دعوة هود وصالح وشعيب وإبراهيم ويوسف وغيرهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام. فلو سلمنا جدلا وهذا غير صحيح أن أخناتون كان موحدا، فبالتأكيد هو ليس أول الموحدين.[1]

توراة موسى عليه السلام والتوراة المتداولة اليوم

توراة موسى عليه السلام(توراة الله)

التوراة هي الكتاب المقدس، والتعاليم الالهية لبني إسرائيل، التي تضمنتها الأسفار أي الألواح المنزلة على موسى عليه السلام، وعرف بها القرآن الكريم ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ...﴾[2]، ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [3].

تلك التوراة التي تقرر وحدانية الله وتنزيهه عن كل مظاهر النقص، وتعترف باليوم الآخر، والإيمان بما فيه من ثواب وعقاب وجنة ونار، وتتضمن عظات وأفكارا وشريعة لبني إسرائيل يحكم بها أنبياؤهم.

التوراة المتداولة اليوم (توراة اليهود)

تخلص اليهود من التوراة الأصلية التي كانت على زمن موسى عليه السلام، وكتبوا سواها بما يتلائم مع أهوائهم ويتواءم مع مخططاتهم، والذي تولى ذلك الصنيع الآثم من قديم، وغير وبدل وحرف إنما هم طائفة منحرفة متخصصة.. تولت التصحيف والتحريف والتأويل والتعمية بإضفاء الحقائق الإلهية، ليحافظ رهبانهم ورؤساؤهم على مكانتهم ومكاسبهم ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾[4]، ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[5]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى

(١) د. جمال عبدالهادي وآخر ـ المرجع السابق ـ ص ٤١٦ ٤١٨.
(٢) المائدة ٤٤.
(٣) الأعراف ١٤٥.
(٤) النساء ٤٦.
(٥) البقرة ٧٩.

مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾[1].

التوراة المتداولة اليوم، والتي يترنم بها اليهود، ويرددها الإسرائيليون في معابدهم، لا يعترف بها القرآن بل سجل في عديد من الآيات أنها محرفة مزورة، زيد عليها وأنقص منها، فشوهت بما استحدث فيها وحرفت بما نقص منها.

اتخذ اليهود لأنفسهم إله (يهوه) من صنع أفكارهم، غير الإله الذي دعا إليه موسى عليه السلام، وكفروا بما جاءهم به موسى، واتهموه بالزيغ والكفر والانحراف ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ، وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ، وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ﴾[2].

سعى اليهود إلى قتل موسى عليه السلام، ثم عمدوا إلى اختلاق توراة من عند أنفسهم نسبوها إليه وأودعوا فيها ما شاءت لهم أهواءهم الجامحة ونفوسهم المفطورة على البغض واقتراف الكبائر ﴿فَبَرَّأَهُ اللهُ مِمَّا قَالُواْ﴾[3] ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾[4] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾[5].

ادعى اليهود أنها منزلة من عند إلههم، ولكن الله تعالى حكم بأن تعاليم التوراة المتداولة في الأوساط اليهودية من أكثر من أربعة عشر قرنا من الزمان ليست هي التوراة المنزلة على موسى عليه السلام.

يقول رحمة الله الهندي في كتابه (إظهار الحق): قال جان ملتر: "اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية، وكذا نسخ العهد القديم ضاعت من أيدي عسكر بختنصر، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بوساطة "عزرا" ضاعت تلك النقول أيضا في حادثة أنتيوكس.

يقول رحمة الله: لما فتح ملك ملوك الفرنجة أورشليم أحرق جميع نسخ كتب العهد القديم ، وأمر بقتل كل من يوجد عنده نسخة من كتب العهد القديم، وكانت هذه الحادثة قبل

(١) البقرة ١٥٩.
(٢) فصلت ٤٥.
(٣) الأحزاب ٦٩.
(٤) المجادلة ٢.
(٥) البقرة ٥٩.

ميلاد المسيح بأكثر من مائة سنة.

ومما يجزم بأن هذه التوراة المتداولة اليوم ليست توراة موسى توراة الله، أنها صورت أنبياء بني إسرائيل بصورة مشوهة نزعت عن بعضهم العصمة، بل ردتهم إلى درك الحيوانية وإلى مهاوي الشرك والارتداد عن الإيمان، ففي الباب التاسع عشر من سفر التكوين ادعوا أن لوطا عليه السلام زنى بابنتيه والعياذ بالله وحملتا من أبيهما، وفي الباب الحادي والعشرين من سفر صموئيل الأول أن داود عليه السلام قد زنى بامرأة أوريا وحملت منه، وغير ذلك كثير.

التلمود

يُعَدُ كتاب التلمود عند اليهود جزءا من أحكام الديانة اليهودية، والتلمود معناه التعاليم أو الشرح أو التفسير، وهو مجموعة الشرائع اليهودية التي نقلها الأحبار اليهود شرحا وتفسيرا للتوراة واستنباطا عن أصولها.

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابًا منزلاً، ويضعونه في منزلة التوراة، ويرون أن الله أعطى موسى التوراة على طور سيناء مدونة، ولكنه أرسل على يده التلمود شفاها.

التاريخ القديم والتطور الحضاري في الكتب المدرسية

الهدف من إحلال التاريخ الوثني محل التاريخ الإسلامي

اليهود والأمريكان أعداء الله حريصون على إحياء النعرات المحلية والعنصرية البغيضة التي ينهانا عنها الإسلام الحنيف من أجل خلق أجيال متعصبة للفرعونية أو الآشورية أو الفينيقية... إلخ، ولتفتيت وحدة العالم الإسلامي التي تشكل خطرا على مصالحهم.

لذلك كان تشجيعهم إحياء التاريخ الوثني القديم لكل قطر، وتشجيع عمليات الحفر والبحث عن الآثار السابقة على حضارة الإسلام في كل من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ومصر، كما شجع كل قطر على المفاخرة بمجده القديم، وحضارته البائده كالبابلية والآشورية والكلدانية والفينيقيه والفرعونية والحيثيه.

ومن الأدلة على دور اليهودية والنصرانية في إذكاء روح العصبية والعنصرية

عرض اليهودي روكفلر التبرع بملايين الدولارات لإقامة متحف للآثار الفرعونية بمصر وحرص عصبة الأمم على تنفيذ قانون خاص بالآثار والحفريات، نصت عليه المادة (٢١) من قرار انتداب بريطانيا على فلسطين عام ١٩٢٠م.

كيف يتغلب المعلم على الأخطاء والمخالفات المنهجية والتربوية في التاريخ القديم:

يلمس المعلم في كتب التاريخ المدرسية الكثير من المغالطات التاريخية والتربوية، حيث يُخَاطَب الطالب بأنه مسئول عن مواصلة أعمال أجداده القدماء وأنه جدير بالإنتساب إليهم، وفي هذا إشارة بالطبع إلى الأجيال والأمم الماضية دون تحديد، فيدخل ضمن هؤلاء المسلمون الذين عبدوا الله حق العبادة وجاهدوا في سبيله حق الجهاد، ويدخل ضمنهم غير المسلمين الذين أشركوا بالله وعبدوا الأوثان.

هنا يفرق المعلم لطلابه بين من هم الجديرين بالإنتساب إليهم والتفاخر بهم وبين أولئك الذين أشركوا بالله عز وجل، وادعوا الألوهية والربوبية، وعبدوا الأوثان وعاثوا في الأرض فسادا، فلعنهم الله في كتابه وأغرقهم في اليم، وجعلهم عبرة لأولى الأبصار. ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا، وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[1].

هنا نذكر لأبنائنا المثل المسلم، ونعطيهم القدوة الحسنة والأسوة المسلمة.

في مفهوم الحضارة الإنسانية ومقوماتها

طرحت الكتب المدرسية مفهوما ماديا للحضارة أغفلت فيه الجانب الروحي والعوامل الروحية، والدور الذي قام به أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وعلى عادة المستشرقين، فسرت أحداث التاريخ تفسيرا ماديا ماركسيا من خلال النمط الاقتصادي السائد في المجتمع، وهو تفسير له خطورته بسبب غياب الفكرة الإسلامية ولأنه يتنافى مع عقيدة المسلم، ويهبط بالإنسان إلى درك الحيوان[2].

---

(١) غافر ٤٦.

(٢) أنظر التفسير المادي للتاريخ ومفهوم الحضارة ومقوماتها في فصل سابق من هذا الكتاب.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾[1].

في عوامل قيام الحضارة

أوردت الكتب المدرسية العوامل الطبيعية من أنهار، وظروف مناخية، وموقع جغرافي، وثروات وتناسى مؤلفيها أن يشيروا إلى الخالق الأعظم واهب النعم، ودور الأنبياء والرسل الذين أرسلهم الله تعالى لهداية الناس، حيث جاءوا بجملة من العقائد والعبادات والسلوكيات، والمعاملات، تلك التي ساعدت على قيام الحضارات وهنا يبين المعلم فضل الله عز وجل الخالق المتفضل على خلقه.

في التطور الحضاري

تجاهلت الكتب المدرسية أبوة آدم عليه السلام لبني البشر، وأيضا الهجرات السامية والحامية التي خرجت من شبه جزيرة العرب إلى أنحاء المعمورة.

زعمت بعض الكتب أن الإنسان الأول انحدر من سلالة القردة، وأنه وُجِدَ بالصدفة، وأنه عاش عاري الجسد لا يعرف الكلام، ولا يحسن التعبير، وأن الظروف المادية القاسية كانت تتحكم فيه كالحيوانات المفترسة والبرد القارص وغيرها، وأنه كان يعيش على صيد الحيوانات وقطف الثمار، حتى اهتدى بالصدفة إلى الزراعة واستئناس الحيوانات.

هنا يشير المعلم إلى أن أصل الإنسان واحد وهو آدم عليه السلام ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ، خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۝ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلا تَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[2]، وأن الإنسان منذ ذلك الوقت كامل في شكله وصورته ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[3]، يجيد النطق ويحسن الكلام، ويعرف التعبير ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[4]، يستر جسمه ويخفي عورته، بعد أن أنزل عليه الله عز وجل اللباس ودله عليه ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾[5]، كما أن أصول البشر ليست متعددة لأن في هذا ما يخالف العقيدة الإسلامية ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن

(١) محمد ١٢.
(٢) آل عمران ٥٩-٦٠.
(٣) التين ٤.
(٤) البقرة ٣١.
(٥) الأعراف ٢٦.

نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾[1]، فالأصول الجنسية للناس أينما كانوا واحدة (كلكم لآم وآدم من تراب).

صورة الإنسان الأول في الكتب المدرسية

تصور الكتب المدرسية الإنسان الأول بأنه ذلك الإنسان القديم الذي عاش في مجاهل القفار متقوقعا على نفسه في مجاهل الغابات أو فيافي الصحراء، لا يميز بين الخير والشر والنافع والضار.

والحقيقة أن الأمر قد اختلط لدى الماديين وتصوروا الإنسان القديم هو ذلك الإنسان الذي يعيش في مناطق منعزلة من العالم اليوم، في منأى عن التطور، وبعيد عن تيارات الحضارة، يقول الشيخ محمود شاكر:

" الجماعات البدائية المنعزلة التي تعيش اليوم في الجهات الإستوائية(في حوض الكنغو وجنوب شرق آسيا وجزر الأندمان شرقي خليج البنغال والغابات الجبلية في شبه جزيرة الملايو وغينيا الجديدة وغيرها) ليست من مخلفات الإنسان القديم الذي يتصوره الماديون ونقلوا صورته إلى الأطفال لينشئوا في بُعْدٍ عن عقيدتهم التي تصور لهم المخلوقات على الصورة نفسها التي يرونها اليوم، لقد كانت هذه الجماعات جزءا من أقوام رسل الله الذين بُعِثُوا لهدايتها، فأبوا الدعوة، ورفضوا الفكرة، ووقفوا في وجه نبيهم، وعتوا عن أمر ربهم فسلط الله عليهم من يحاربهم ويلاحقهم من مكان إلى مكان، فلو كانت هذه الجماعات منعزلة في مواطنها متوقعة في مواضعها من الأصل ووجدت فيه، لكانت أصول البشرية متعددة، وهذا ما يخالف العقيدة الإسلامية، ولو وجدت من الأصل هناك لجاءها هاد وإلا لما كان عليها حساب ولما حق عليها العذاب إذ ما من قوم إلا وجاءهم بشير ونذير، فآدم عليه السلام كان يُعلّم أبناءه وأحفاده التوحيد ويبلغهم دعوة الله، واستمرت هدايتهن حتى كان (شيث) و(إدريس)، ثم كانت دعوة نوح عليه السلام، وهكذا فبداية الخلق لها دعاة وهداة، وفيها قول وتعبير وأسلوب، وللبشر لباس وسترة وأدوات تستعمل واجتماعات يدعى لها الناس وأحاديث تدور فيها، فمن الجماعات من هدى الله، وقبل دعوة الرسل، وسار حسب إرشاداتهم وتعليماتهم فكانوا أن استخلفوا في الأرض

(١) النساء ١.

وعمروها حتى حين، وأخذوا من خيراتها، واستفادوا من كنوزها، حتى عتوا عن أمر ربهم، ومن الجماعات من ركب طريق الضلالة أصلا وسار على درب الغواية، فكتبت عليه الشقوة، وحبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وسلط الله عليهم من يقاتلها ويفتك بها حتى فرت ودخلت أماكن مجهولة ومناطق منعزلة وظلت فيها حتى اليوم.(١)

الأصول الجنسية الأولى لسكان العالم

ينتمي سكان الأرض الحاليون إلى زوجين اثنين هما آدم وحواء ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢).

ومنذ ظهور الإنسان على سطح الأرض وهو جاد في استعمارها فقد انتشر من موطنه الأول في جنوب غربي آسيا (على الأرجح بين علماء الأجناس) فبعد أن تكاثر السكان وازداد عددهم في جزيرة العرب، بدأوا يتنقلون منها إلى مختلف الجهات.. إلى الشمال الشرقي باتجاه بلاد الرافدين ومنها إلى آسيا وأمريكا.. وإلى الشمال باتجاه بلاد الشام ومنها إلى حوض البحر المتوسط.. وإلى الجنوب باتجاه بلاد اليمن ومنها إلى أفريقيا.

الهجرات البشرية من شبه الجزيرة العربية

بعد أن تكاثر السكان في شبه الجزيرة العربية حرجت جماعة منهم واتجهت نحو الشمال الشرقي، وانتهى بها المطاف في جنوب بلاد الرافدين حيث التربة الخصبة والمياه الوفيرة، فأقامت العمران وعملت بالزراعة، ولم تلبث أن أشركت بالله واتخذت أصناما عبدتها من دون الله، فبعث الله عز وجل نوحا عليه السلام، ودعاها إلى إفراد العبادة لله وحدة لا شريك له، ولبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يدعو قومه، فلم يؤمن منهم إلا قليلا، ولما يئس من إيمانهم دعا عليهم فأغرقهم الله وأنجى المؤمنين.

استقر الناجون من الغرق في شمال بلاد الرافدين وبدأت زيادة السكان بعد أن تكاثر أبناء نوح عليه السلام، وخرج سام بن نوح وأبناؤه نحو الجنوب الغربي باتجاه جزيرة العرب، وانطلق حام وأولاده نحو جنوب العراق ونحو الهند وانتقل فريق منهم

(١) محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي جـ١ المكتب الإسلامي.
(٢) الحجرات ١٣.

عبر مضيق باب المندب إلى أفريقيا، كما تحرك يافث الابن الثالث لنوح نجو الشرق.

ثم استوطنت الجماعة القادمة من الشمال أرض سومر جنوب العراق، وعاش الأكاديون إلى جوارهم بعد أن ارتحلوا من جزيرة العرب، ولما عبدت هذه الأقوام الأصنام وتمادت في غيها بعث الله إليهم إبراهيم عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده ولكنهم عتوا عن أمر ربهم وتآمروا عليه فهجرهم، وسلط الله عليهم جماعات ظالمة أذاقتهم العذاب ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

سلط الله على السومريين البابليين الذين اتخذوا من بابل حاضرة للدولة البابلية، والتي من أشهر ملوكها حمورابي، الذي وضع قوانينه التي عرفت باسم شريعة حمورابي.

ولما عبد البابليون الأصنام من دون الله فقد أصابهم ما أصاب سابقيهم وسلط الله عليهم أقواما آخرين جاء أكثرهم من الشمال عرفوا بالآشوريين، والذين لم يتعظوا أيضا بما حل سابقيهم وبسطوا نفوذهم على جنوب الطرق وبلاد الشام، واستمروا في عبادتم للتماثيل والكواكب، فبعث الله إليهم يونس بن متى رسولا فدعاهم فلم يؤمنوا في أول الأمر، ولكنهم ندموا فكشف الله عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا إلى حين، وفي النهاية نجح الكلدانيون في إسقاط نينوي العاصمة الآشورية، واتخذوا من بابل عاصمة لهم وأسسوا الدولة البابلية الثانية التي كان من أعظم ملوكها بختنصر الذي فتح القدس واستباحها لجنده وأخذ اليهود أسرى إلى بابل، كما هاجم مصر، وبنى برج بابل الشهير.. ولقد استمرت هذه الدولة حتى غزاها الفرس عام ١١٦١ قبل الهجرة وقضوا عليها.

عمرت بلاد فارس بالبشر وكثر عددهم وغزوا العراق وهاجموا مصر وظل الفرس بها إلى أن جاء الإسكندر الأكبر واحتلها، ومن بلاد فارس انتقلت جماعات من السكان إلى أواسط آسيا وصحاريها، ومع مرور الزمن نشأ العنصر المغولي الذي تكاثر وتدفقت هجراتهم نحو الشمال والمشرق، ووصلوا إلى شبه جزيرة الملايو واستراليا وجزر المحيط الهادي، وعبر مضيق بهرنج دخلوا أمريكا وتوزعوا في الأمريكتين فيها.

مزاعم يهودية

يزعم اليهود أن تاريخهم في فلسطين يرجع إلى خمسة آلاف عام، وأن العرب لم

(١) الأنعام ١٢٩.

يدخلوها إلا بعد الفتح الإسلامي، وهذا يشكل أكبر تزييف للواقع التاريخي.

وفي هذا الموضوع يقول عباس محمود العقاد "ومن أقوال اليهود أن العرب فتحوا فلسطين بعد قيام الدعوة الإسلامية، وأنه لم يكن لهم وجود فيها قبل النبي محمد ﷺ، وقد نجح دعاة الصهيونية في الترويج لهذه الخرافة حتى صدقها الكثيرون من الأوربيين والأمريكان، بل ونجحوا فيها حتى صدقها أناس من العرب أيضا، فسمعنا منهم من يقول إن شأن اليهود في فلسطين كشأن الهنود الحمر في القارة الأمريكية.

لذلك فإنه يتوجب على المسؤلين في البلاد العربية أن يعملوا على حشد الجهود في سبيل تربية الجيل الجديد تربية قومية صحيحة عن طريق إعادة النظر في تاريخنا القومي الذي يظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وحقيقة علاقة اليهود به، وهذا لن يتم إلا بإدخال هذا الموضوع في جملة المواد الواجب تدريسها ضمن مناهج التعليم في جميع البلاد العربية وإعداد كتب خاصة لتدريس هذه المادة في المدارس بحيث تظهر تاريخ فلسطين القديم على حقيقته وإصدارها بمختلف اللغات كرد على هذه الإدعاءات الزائفة.

إن من الثابت تاريخيا أن سكان فلسطين الأصليين القدماء، كانوا عربا هاجروا من جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها، وعاشوا في وطنهم الجديد كنعان لأكثر من ألفي سنة قبل ظهور موسى عليه السلام وأتباعه على مسرح الأحداث، وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم.

هذه حقيقة تاريخية ثابتة، أيدتها المكتشفات الأثارية الحديثة، وأخذ بها العلماء بالإجماع تقريبا إلا أن كتابنا العرب أغفلوا ذلك لاعتمادهم على الكتابات اليهودية والأجنبية التي قبلوها على علاتها من غير تمحيص، وتركوا اليهود يستعينون على اغتصاب بلادنا بتزييف الحقائق.

إبراهيم عليه السلام لم يكن يهوديا ولا نصرانيا

احتوت التوراة التي كتبها الأحبار بعد عهد النبي موسى عليه السلام على الكثير من المفاهيم الخاطئة التي شاعت بمرور الزمن إلى أن نزل القرآن الكريم فنبهنا إليها بدون لبس وغموض، وقد جاءت المكتشفات الأثارية والدراسات العلمية الحديثة مؤيدة للحقائق الواردة في القرآن الكريم، فينبهنا القرآن إلى فرية ادعاء التوراة المحرفة والقائلة بأن إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب (إسرائيل) أجداد اليهود، وأن اليهود من نسلهما.

يقول الله عز وجل ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1].

يوضح هذا بأجلى بيان نفي هذا الإدعاء من حيث الأساس، كما تعنى الآية أن عهد إبراهيم الخليل غير عهد اليهود ولا يتصل بعهد اليهود الذي يرجع إلى أكثر من ألف عام بعد عهد إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب.

وينبهنا القرآن الكريم أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان مرتبطا بالجزيرة العربية(بيت الله العتيق) وقد جاءت المكتشفات الآثارية حول الهجرات العربية من الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب ودراسة علم المقارنة بين اللغات مؤيده لهذه الحقيقة نفسها التي تربط صلة الخليل بجزيرة العرب.

وينبئنا القرآن الكريم بأن الديانة اليهودية على عهد النبي موسى كانت في أصلها تقر بالبعث والنشور واليوم الآخر والحساب والجنة والنار، ولكن أسفار العهد القديم تخلوا عن ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه.[2]

إن عصر إبراهيم الخليل عليه السلام عصر عربي قائم بذاته ليست له أية صلة بعصر اليهود، وقد نبه القرآن الكريم إلى هذه الناحية بقوله ﴿يَـاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ، أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[3].

ويخلط الكثيرون بين تسميات العبرانيين الإسرائيليين الموسيين اليهود، ويعتبرونها مسمى واحدا ذات مدلول واحد، في حين أن كل تسمية لها مدلولها الخاص، ولها عصرها الخاص لذا يجب التمييز بين العبري من جهة وبين .الإسرائيلي أو الموسوي أو اليهودي من جهة أخرى.. فالعبرانيين قبائل عربية عاشت في شمال شبه الجزيرة العربية وبادية الشام في نحو الألف الثانية قبل الميلاد، وفي وقت لم يكن للإسرائيليين والموسويين واليهود أي وجود بعد.

أما الإسرائيليين فهم أبناء يعقوب (إسرائيل) حفيد إبراهيم الخليل، عاشوا في حران (حاران) ولدوا ونشأوا في هذه المنطقة، أما فلسطين فكانت أرض غربتهم بتأكيد التوراة

(١) آل عمران ٦٧.
(٢) د. على عبدالواحد وافي - اليهودية واليهود.
(٣) آل عمران ٦٥.

ذاتها، وقد انتهى بهم الأمر إلى الهجرة إلى مصر والإنضمام إلى يوسف عليه السلام والذوبان في البيئة المصرية.

ثم جاء الموسويون بعدهم بزهاء ستمائة عام، وهم قوم موسى عليه السلام ورد ذكرهم في القرآن الكريم، وقد انحرفوا عن ديانة موسى وشريعته، وصاروا يعرفون فيما بعد باليهود.. وتأتي تسميتهم باليهود نسبة إلى مملكة يهوذا وقد سباهم نبوخذنصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد.. وهؤلاء اليهود سماهم القرآن الكريم كفارا لكذبهم على موسى وتحريفهم لتوراته فيقول فيهم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّـهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـنَ بِغَيْرِ الْحَقِ، ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[1].

ولقد فرق القرآن بين بني إسرائيل ذرية إبراهيم الخليل من جهة وبين اليهود المتأخرين من جهة أخرى، وذلك باستعمال إسمين لها، فأطلق اسم "بني إسرائيل" في مواضع الرضا، وسموا "باليهود" في حالات السخط عليهم.

يقول الدكتور أحمد سوسة:[2]

عصر إبراهيم الخليل وإسحق ويعقوب يرجع تاريخه إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وهو عصر عربي بحت قائم بذاته بلغته وقوميته وديانته، وهو مرتبط بالجزيرة العربية، وبلغتها الأم وبقبائلها التي سميت فيما بعد بالعرب البائدة لانقراضها، ولا صلة له بعصر موسى الذي يأتي في وقت لاحق بعد عصر إبراهيم الخليل بسبعمائة عام، كما أنه لا صلة به بعصر اليهود الذي يأتي بعد عصر إبراهيم الخليل بحوالي ألف وخمسمائة عام.

إن أرض كنعان (فلسطين) باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل يعقوب، إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين، والتوراة تتحدث عنهم بصفتهم غرباء وافدين طارئين على فلسطين. أما وطنهم الأصلي فهو منطقة حران الحالية حيث كانت العشائر الآرامية التي ينتمون إليها قد

(١) آل عمران ٦١.
(٢) د. أحمد سوسة ـ العرب واليهود في التاريخ ـ العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

استقرت في منابع نهر البليخ بعد هجرتها من الجزيرة العربية، ثم نزحت فروع من هذه القبائل إلى جنوبي العراق(منطقة بابل) فكان إبراهيم الخليل من ذريتها.

إن الإله الذي كان يدعو إبراهيم الخليل إلى عبادته هو الإله (EI) (الله خالق السموات والأرض) وهو غير إله اليهود الذي ابتدعوه (يهوه)، لأن دعوة إبراهيم الخليل إلى عبادة الإله الواحد هي دعوة عامة موجهه إلى جميع الوثنيين في عصره من غير تمييز بين الناس، ولم يكن قد وجد اليهود بعد.

إن دعوة إبراهيم الخليل إلى وحدانية الله الخالصة هي أول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد، وهي عربية لغة ووطنا، لأن اللغة التي كان يتكلم بها إبراهيم الخليل هي اللغة العربية الأم، وموطنها الأصلي الجزيرة العربية، وكانت في تلك الأزمان لغة واحدة يتكلم بها جميع القبائل النازحة من الجزيرة إلى الهلال الخصيب، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة الأصلية إلى لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات السامية.

وبذا كان إبراهيم رسولا عربيا يحمل رسالة لا تقيدها حدود ولا تقف في سبيلها عصبية الأقوام والأمم.[1]

من افتراءات اليهود وأكاذيبهم

زعم مدونوا التوراة المحرفة من أن هناك وعدا نسبوه إلى ربهم يهوه بمنح بلاد كنعان (من نهر النيل إلى نهر الفرات) لإبراهيم ولنسله من بعده، باعتبار اليهود من نسل إبراهيم، كما زعموا أن هناك أمرًا إلهيا يقضي بإبادة سكان كنعان من غير تمييز بين رجل وامرأة وبين شيخ وطفل وإحراق مدنهم وما فيها بالنار وإحلال بني إسرائيل قوم موسى!!محلهم.

إن عزو مثل هذا الوعد المشروط بالقتل الجماعي والإبادة إلى الله سبحانه وتعال هو من غير شك افتراء محض لأنه لا يمكن أن تعترف أية ديانة سماوية بإبادة بني الإنسان وقتل النفس البريئة، وإنه إفتراء على النبيين الجليلين إبراهيم الخليل وموسى

(١) المرجع السابق.

عليهما السلام، أن تنسب إليهما الرغبة في إبادة الأقوام وقتل الأبرياء.

والمعلوم تاريخيا أن إبراهيم الخليل عليه السلام سكن مع الكنعانيين والمصريين وعاش معهم في مودة ووئام ووفاق.. كما أنه من المستحيل أن يكون قد نزل على نبي من الأنبياء أمر بالقتل الجماعي الذي نسب إلى الإله العلي القدير، فقد جاء في القرآن الكريم ما يحذر بني إسرائيل من مغبة مثل هذه الأعمال المنكرة التي أدخلوها في كتبهم، وقالوا هذا من عند الله ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1]، ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[2].

إن التوراة التي بين أيدينا دونت كما هو معلوم بعد زمن إبراهيم الخليل عليه السلام بألف وثلاثمائة عام وبعد زمن موسى بمقدار ثمانمائة عام، وقد دونها الكتبة والأحبار عن أفواه أسلافهم على الأكثر، فأضافوا وحرفوا ما حرفوا بحسب أهوائهم ونزعاتهم الدينية، حتى أصبح من المتعذر التمييز بين الأصل وبين المضاف أو المحرف، وقد افتروا فيما كتبوه على الأنبياء ونسبوا إليهم في التوراة أعمالا قبيحة تتنافى ومقامهم ومنزلتهم، بل تتنافى مع الفضائل والمثل العليا، ولم يكتفوا بذلك فنسبوا إليهم حتى الزنى، وهذا دليل قاطع على أن الوعد المشروط بالقتل الجماعي والإبادة مختلق من حيث الأساس، إذا لا يمكن أن يكون قد نزل شئ من هذا القبيل من عند الله مطلقا. لذلك فإن بعض علماء اللاهوت من المسيحيين أخذ يدعون إلى عدم اعتراف المسيحية بكتاب العهد القديم ككتاب ديني، وحتى ككتاب تاريخي وثائقي.

يرى سبنسر تريمنغهام الباحث والمستشرق البريطاني وأستاذ العلوم الإسلامية في كلية اللاهوت ببيروت: إن كتاب العهد القديم استخدم ويستخدم لأغراض سياسية لا تقع ضمن إطاره الصحيح، وما استخدامه من قبل المؤرخين وغيرهم كمادة تاريخية لإثبات بعض الأغراض سوى تشويه للحقيقة.

ويقول الأنبا غريغوريوس أسقف الدراسات اللاهوتية العليا:.. وتزعم إسرائيل أنها

(١) المائدة ٣٢.
(٢) الممتحنة ٨.

تتبع ديانة العهد القديم وديانه النبي موسى.. وهذا لغوا إن المسيحية وإن جاءت مكملة ومتممة للموسوية، لكن اليهودية غير الموسوية.. إن اليهودية الآن هي ديانة الذين أنكروا المسيح ورفضوا دعوته ورسالته وتعاليمه متطلعين إلى مسيح آخر من طراز شمشوم الجبار وغيرهم من المحاربين الأشداء الذين يقودون المعارك الحربية ليحققوا لشعبهم نصرا ماديا أرضيا، ولا يزالون مرتبطين بفكرة المملكة الأرضية التي تقوم على التوسع المادي والإقتصادي ليسودوا العالم ويحكموه، ويتسلطوا على غيرهم من الشعوب اعتقادا منهم أنهم هم وحدهم شعب الله المختار، وأما غيرهم من البشر فهم حيوانات لها أشكال آدمية.(١)

اليهودية

اليهود قوم عنصريون، يدعون أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وعلى هذا فهم يستبيحون كل الشعوب دماء وأموالا، وقد صرح القرآن الكريم بذلك حاكيا قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾(٢)، ثم يقولون بما أن اليهود جزء من الله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ﴾(٣) كما أن الإبن جزء من أبيه ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾(٤) لذلك فإنه إذا ضرب أممي إسرائيليا فالأممي يستحق الموت.

وقد صور التلمود غير اليهود بأنهم حيوانات في صورة إنسان، هم حمير وكلاب وخنازير بل الكلب أفضل منهم، لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم ويعتبرون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية.(٥)

يقول التلمود: "إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر" " إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد إلى أممي ماله المفقود".

فاليهودية على هذا النحو لا ترى قيمة لغير اليهودي، وتسعى إلى التخلص منه إذا سنحت الظروف، فهو مستباح الدم مستباح المال وجد ليكون خادما لليهود مستعبدا لديهم.

---

(١) أنظر الدكتور أحمد سوسة - العرب واليهود - العربي للطباعة والنشر والتوزيع ص ٦٧٤ ٦٧٧ (نقلا عن وثيقة للكنيسة القبطية في مصر - الأنوار البيروتية).
(٢) آل عمران ٧٥.
(٣) التوبة ٣٠.
(٤) المائدة ١٨.
(٥) الكنز المرصود في قواعد التلمود.

وقد اعترف اليهود في كتابهم (سد حادرون) انهم قتلوا مائتي ألف نصراني في روما بالإضافة إلى كل نصارى قبرص في عام ٢١٤ م.

يهود اليوم ويهود التوراة

تؤكد الدراسات الأنثروبولوجية التي قام بها الدكتور جمال حمدان[١] أن الصلة الجنسية والجينية بين يهود اليوم ويهود التوراة منبتة وفاقدة تماما من الناحية العملية، وأن يهود اليوم أوربيون سلاف أوآريون أكثر منه ساميين. وفي دراسة قام بها الأنثروبولوجي البريطاني جيمس فنتون عل يهود إسرائيل توصل فيها إلى ان ٩٥٪ من اليهود ليسوا من بني إسرائيل التوراة وإنما هم أجانب متحولون مختلطون في جملته اختلاطا يبعدهم عن أي أصول اسرائيلية فلسطينية قديمة.

لهذا تسقط ببساطة دعوى قرابة الدم بين العرب واليهود التي روج لها بعض الساسة العرب من قديم، لتحطيم الحاجز النفسي بين العرب واليهود، ففي عام ١٩١٩ خاطب فيصل بن الحسين الهاشمي الذي أصبح ملكا على العراق القاضي الأمريكي اليهودي فيلكس فرانكفورتر قائلا: إن العرب واليهود أبناء عم من الناحية العنصرية.. وأننا سنرحب باليهود ترحيبا قلبيا في عودتهم إلى البلاد.. وهناك مجال في سوريا يتسع لنا جميعا.. ويؤكد ذلك في مؤتمر الصلح بباريس في نفس العام فيعلن أن:

"هناك صلات وثيقة من القرابة والدم بين العرب واليهود، كما أنه ليس ثمة تعارض واضح في الصفات المميزة للشعبين."

وتعود نفس النغمة بعد أكثر من سبعين عاما لنسمع من يردد من الساسة الانهزاميين الذين أصابهم الوهن ليعلنوا على الملأ أن العرب واليهود عاشوا مراحل طويلة في التاريخ جنبا إلى جنب وفي صداقة وتعاون كأقارب وجيران!

عميقة إذن هذه الأفكار الانهزامية الاستسلامية!!

يهود اليوم قوم غرباء لا علاقة لهم البتة بإسحق فضلا عن إسماعيل.. ولا يمكن أن يكون يهود أوربا والعالم الجديد أقارب العرب جنسيا أكثر من قرابة الأوربيين

(١) جمال حمدان ـ اليهود أنثربولوجيا ـ دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
جمال حمدان ـ عالم مصري ـ قبل أن يد الغدر اليهودية اغتالته في منزله.

والأمريكيين للعرب! إن اليهود اليوم إنما هم أقارب الأوربيين والأمريكيين بل هم في الأعم الأغلب بعض وجزء منهم وشريحة لحما ودما وإن اختلف الدين. ومن هنا فإن اليهود في أوربا وأمريكا ليسوا كما يدعون غرباء أو أجانب دخلاء يعيشون في المنفى وتحت رحمة أصحاب البيت، وإنما هم من صميم أصحاب البيت نسلا وسلالة لا يفرقهم عنهم سوى الدين أما أين يمكن أن يكون اليهود غرباء في منفى ودخلاء لا جذور فذاك في البيت العربي وحده في فلسطين حيث لا يمكن لوجودهم إلا أن يكون استعمارا واغتصابا بالقهر والابتزاز وغير هذا قلب بشع لحقائق التاريخ أنثروبولوجيا وغير أنثروبولوجي.

مفاهيم إسلامية يحرص المعلم على غرسها

الإنسان هو خليفة في أرض الله:

الإنسان مستخلف في هذه الأرض لعمارتها واستثمار خيراتها التي هي لكل البشر بدليل قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُم فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنهَا تَأْكُلُونَ ۞ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسرَحُونَ ۞ وَتَحمِلُ أَثقَالَكُم إِلَى بَلَدٍ لَّم تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُم لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ وَالخَيلَ وَالبِغَالَ والحَمِيرَ لِتَركَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخلُقُ مَا لا تَعلَمُونَ ۞ وَعَلَى اللَّهِ قَصدُ السَّبِيلِ وَمِنهَا جَائِرٌ وَلَو شَآءَ لَهَدَاكُم أَجمَعِينَ﴾[2].

كل ما في هذا الكون وبخاصة الأرض مسخر للإنسان.

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ جَمِيعاً مِّنهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَومٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[3]

العمل والإنتاج عبادة

الإنسان مطالب بالعمل.. حيث أن الكسل والقعود عن طلب الرزق أمر منهي عنه وطلب الرزق ليس غاية في حد ذاته، وإنما هو وسيلة ليستطيع الإنسان أن يؤدي واجبه ﴿وَقُلِ

(١) البقرة ٣٠.
(٢) النحل ٥.
(٣) الجاثية:

اعمَلُوا فَسَيَرى اللَّهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ والمُؤمِنُونَ﴾[1]

لا فرق بين الغني والفقير، فلا المال يعفي صاحبه من أداء واجباته، ولا الفقر ينقص صاحبه حقا من حقوقه.

الإنسان يتحمل مسئولية عمله في الدنيا أمام النظام وفي الآخره أمام الله، وشرط العمل أن يكون مشروعا غير محرم بألا يكون فيه ضرر للناس مثل الاحتكار والغش والربا وألا يكون فيه شغل عن العبادة. روى عنه ﷺ "العمل عبادة"، " من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له يوم القيامة".

اتقان العمل والإنتاج من تعاليم الإسلام: أوجب الإسلام اتقان العمل والإنتاج ويعتبر ذلك أمانة ومسئولية لقوله تعالى ﴿وَلَتُسـئَلُنَّ عَمَّا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾[2] ولقوله ﷺ "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه".

الإسلام ينهى عن الإحتكار

نهى رسولنا ﷺ عن احتكار السلع فقال "من احتكر حكرة يريد أن يغالى بها على المسلمين فهو خاطئ"، ويقول "الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون"، "الجالب في سوقنا كالمجاهد في سبيل الله، والمحتكر في سوقنا كالملحد في كتاب الله".

المال مال الله والبشر مستخلفون فيه

كل ما في يد البشر من مال هو ملك لله ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرضِ﴾[3] والبشر مستخلفون فيه ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُستَخلَفِينَ فِيهِ﴾[4] كما يقرر الإسلام أن حيازة المال ليست امتلاكا، وإنما هي وديعة أو وظيفة يلتزم فيها بتعاليم الإسلام يؤدى فيها حق الله الذي يعلو فوق كل الحقوق.

عنه ﷺ "ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم".

---

(١) التوبة ١٠٥.
(٢) النحل ٩٣.
(٣) النجم ٣١.
(٤) الحديد ٧.

النظام الإسلامي يحمي الملكية الفردية

يحمي الإسلام الملكية الفردية بشرط أن يكون الحصول عليها بطريقة مشروعة، وألا يكون في تملكها ضرر عام، وأن يحسن المالك القيام بأمرها واستثمارها وعدم تعطيلها، وأن يؤدى ما عليها من زكاة أو خراج كذلك، يأمر الإسلام بإنفاق المال ولكن لا يبيحه في الترف والبذخ ولكن في الإنفاق في سبيل الله.

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِم حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[1]

كيف يتخلص المعلم مما علق بالمادة المكتوبة من سموم وتحريفات

- تعرض المادة المكتوبة على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ثم تعرض على كل ما أنتجه العقل المسلم في مضمار العلم والمعرفة، وكل ما يتفق مع مبادئ الدين الحنيف.
- تطوير العناصر الإيجابية في المادة المكتوبة، وإبعاد العناصر الدخيلة أو تطويرها بما يتناسب وهوية الإنسان المسلم.
- وزن الإنجازات العلمية والحضارية بميزان الإسلام، والفطرة الإسلامية السليمة.
- تنقية المادة المكتوبة من التشويهات العنصرية الإقليمية الضيقة.
- الإستفادة من الإتجاهات العلمية الحديثة.
- الأخذ في الإعتبار أن الشعوب الإسلامية وحدة واحدة وإن اختلفت أنظمة الحكم، واتجاهاتها حيث تعرضت تلك الشعوب لتيارات تاريخية واحدة.
- تثبيت الفهم الإسلامي الأصيل.
- إدراك الدور الحقير الذي لعبته اليهودية على مر العصور، ومدى خطورته على فكر الشعوب وعقائدهم.
- إبراز الدور الحضاري الإسلامي على مر العصور، ومدى إسهاماته في بناء الحضارة الإنسانية.

---

(١) المعارج ٢٤-٢٥.

- تجنب مشاعر التعصب والتفريق بين جماعات المسلمين، وتجنب الدعوات التي تثير كل ماله تأثير شعوبي أو جنسي كالدعوة إلى القومية أو التعصب العرقي.
- المسلمون جميعا أمة واحدة، فما يحدث في البلقان يشعر به المسلم في كل مكان، وما يحدث في القوقاز يتألم له الجميع من أبناء الأمة المسلمة.
- أهل الكتاب في الدولة الإسلامية، مواطنون لهم حق المواطنة يعيشون في كنف الدولة الإسلامية تُراعي عقائدهم، وتُحترم مشاعرهم بشروط.